

إن كل كيان أجهد وكسب منحوته

كلمة

الصدق

ليس أشبه بالإنسان في مغامرة الكيان والوجود تقتضيه أن يتردد بين الغشبية والإعياء والضعف تارةً والحياة والقوة والنشاط طوراً من المجالات في مغامرة البقاء والاستمرار ترتد بها حيناً إلى حيرة اليأس الممضّة وتدفع بها أحياناً إلى طمأنينة الأملك الوادعة . ولعلك - أيها القارئ - عليم بما تخوضه مجلّتك منذ أعيادها الأولى من جهاد قاسٍ مريرٍ وكفاح شاقٍّ عسيرٍ في مواجهة ضيق ذات اليد ، فقد جاء في افتتاحية العدد التاسع (ماي 1987) ما يلي : > .
ونبادر فتؤكد أن المصروفات التي تُشير إليها هي صغريات مالية صرفاً مردّها إلى تراخي عدد كبير من المشتركين الأحياء أفراداً ومؤسسات عن الإيفاء بالتزاماتهم إزاء " إتحافهم " التي ما انفكوا ينهون بها ويعربون في كل مناسبة عن اعتزازهم بما بلغته من حيث المستوى » وفي هذا من الدليل على قدم الداء وقدم اجتهاد المجلة في التخلص منه ما لا يخلو من موعظة لمن اتعظ .

* * *

ولكن ما يهون الصعاب تهويناً ويخفف الأعباء غاية التخفيف ما يصدر بين الفينة والأخرى عن بعض كتّاب الإتحاف وخُصّصاتها من قولٍ باللسان وعملٍ باليد من

كتبت

الحبيب

الديري

أجل التَّنْفِيسِ عَلَيْهَا فِي ضَيْقِهَا وَالتَّعْجِيلِ لَهَا بِالْفَرْجِ مِنْ بَعْدِ شِدَّتِهَا (*) لِإِنْ فِي هَذِهِ الْمَبَادِرَاتِ الْفَرْدِيَّةِ التَّلَقَّائِيَّةِ مِنَ الْعَبْرِ مَا يَجِبُ أَنْ يُعْتَبَرَ لِكُلِّ مَنْ يَمُتُ إِلَى الْإِتْحَافِ بِصِلَةٍ أَوْ يَتَّصِلُ إِلَيْهَا بِسَبَبٍ حَتَّى يَنْوَدُوا عَنْهَا بِالْفِكْرِ وَالْمَادَّةِ وَيُعَزِّزُوا جَانِبَهَا وَيَقْوُوا غَوَائِلَ الدَّهْرِ ، فَلَنْ تَظَلَّ نَارُنَا مَوْقِدَةً وَشِعْلَةً لِهَيْئَتِنَا مَتَوَهِّجَةً مَا لَمْ نَحْتَطِبْ لَهَا جَيِّدَ الْأَدَبِ وَمَعَهُ زَكِيُّ الْمَالِ يَوْنُ تَظَلَّ شَمْسُنَا بَارِغَةً تُشْبِعُ نَوْرَ الْفِكْرِ وَبِهَجَّةِ الْمَعْرِفَةِ مَا لَمْ نَدْرَأْ عَنْهَا غَيُومَ الْحَاجَةِ وَسُجُوفَ الْفَاقَةِ وَلِيَعْلَمَ كِتَابُ الْإِتْحَافِ وَأَنْصَارُهَا أَنَّ التَّبَعَةَ فِي ذَلِكَ عَلَيْهِمُ وَالْمَسْئُولِيَّةُ عَلَى كَوَاهِلِهِمْ .

* * *

إِنَّ الْإِتْحَافَ زَعِيمَةٌ يَأْتِيهَا تَطَلُّبُ النَّارِ لِكُلِّ مَجَلَّةٍ تُونَسِيَّةٍ كَانَتْ غَلِيْبَةً الْحَاجَةِ وَصَرِيْعَةً مَقْتَضِيَّاتِ الْمَادَّةِ الشَّدِيدَةِ الْجَبَّارَةِ ، وَلَنْ يَتَّحَ لَهَا أَنْ تُصَيِّبَ نَجْحًا فِي مَسْعَاهَا ، إِلَّا إِذَا وَجَدَتْ هِيَ نَفْسُهَا إِلَى الْحَيَاةِ وَجْهًا ، وَاسْتَطَاعَتْ إِلَى الْبَقَاءِ سَبِيلًا ، وَذَلِكَ رَهْمٌ تَظَافَرُ جُهْدُ أَسْرَتِهَا الْمَوْسُوعَةِ الْكَبِيرَى فِي نَحْتِ كِيَانِهَا ، وَإِعْلَاءِ صَرْحِهَا وَتَخْصِيْنِ أَرْكَانِهَا ، وَإِنَّهُ لَا يَفُوزُ بِبِدَائِعِ الدُّنْيَا إِلَّا ذُووُ الشَّدَةِ وَالْبَاسِ وَالْعَزَمِ ، يُرْغِمُونَ الْمُسْتَحِيلَ عَلَى الْإِمْكَانِ ، وَيُجَدِّدُونَ نَصْرَ اللَّهِ وَالْفَتْحَ .



* على سبيل المثال ، رسالة الصديق عبد المجيد النفزي التي وردت مؤخرًا .

مفهوم الحتمية ودوره في البناء العلمي

بقلم : الأستاذ عبد الوهاب مجبود

تمهيد :

العلم ظاهرة متأخرة في تاريخ البشرية ، بل إننا نقول أن البشرية ، منظورا إليها ككل ، مازالت بعيدة عن اكتساب الملامح الأساسية للتفكير العلمي ، ومازال هذا التفكير يقتصر فيها على مجتمعات معينة (المجتمعات المتقدمة) ، وحتى في هذه المجتمعات يتعرض العلم لتشويهات عديدة ، قد تظهر حتى بين المتخصصين فيه . فهل يعني ذلك أن العقل الإنساني ظلّ خلال هذا التاريخ الطويل خاملا ؟

من المؤكد أن التفكير العقلي لم يتوقف لحظة واحدة طوال تاريخ الإنسان ، بل إنه يكاد يكون مرادفا لهذا التاريخ ... والدليل على ذلك أن الإنسان قدم عبر فعله ، تاريخيا ، أنماطا شتى من التفكير ، فأبدع الفن واستنبط أخلاقه ، وفسّر الكون تفسيراً فلسفياً . ولكن مجهوده العلمي لم يكن مماثلاً للتفكير الفلسفي أو لضروب التفكير الأخرى . لكن هذا لا يعني أن العلم لم يوجد فقد أبدعت الحضارات الشرقية القديمة بعض أنواع أو فروع العلوم وعرفت الحضارة اليونانية نسقا علميا لا يستهان به ، ولكن رغم استقلالية هذه العلوم في العهد اليوناني فإنها ظلت بطريقة معلنة أو مخفية تحت هيمنة التفكير الفلسفي . وهذا ما يتفق المؤرخون في تسميته بعصر هيمنة الفلسفة على العلم ، ثم خطا العلم إلى الأمام خطوات أخرى وبالأخص في العصر الوسيط ، وبالتحديد في المجتمع العربي الإسلامي ، أما الفترة الهامة في تاريخ العلم فهي العصور الحديثة ، عصر العلم في نسيج الحضارة الإقتصادية الغربية إذ توفرت الظروف الموضوعية لذلك ، فنشط العقل وتحوّلت أوروبا من عصر الظلمات إلى عصر التقدم ثم التطور ، والهيمنة على باقي الشعوب الأخرى ... لأننا لا يمكن أن نفصل بين التطور العلمي في المجال التقني - المهني وبين كيفية توظيف الاكتشافات العلمية لغاية سياسية - إيديولوجية (في هذا السياق نذكر بونابارت كيف اعتمد على آلة الطباعة عندما قام بحملته على مصر ...) .

من هنا فإنَّ المقياس السوسيولوجي والحضاري لتصنيف الشعوب ، لا يتمُّ اليوم إلا في إطار مدى امتلاكها لسمات العلم وتقنياته . فماهي سمات التفكير العلمي ونقط تميّزه عن باقي التصورات المعرفية الأخرى ، وما هو دور الحتمية كمفهوم جوهرى في التفكير العلمي وبالأخصّوص في مجال العقلانية التجريبية ؟

(1) - بعض سمات التفكير العلمي :

كما يتميّز كل شخص عن الآخر بشخصيته الفريدة والتميّزة - إذ يستحيل أن نجد شخصين يتمتّعان بشخصية مشتركة - كذلك فإنَّ النسق العلمي له معيّزاته ، ويلغة أخرى يتقرّد العلم عن باقي الأنشطة المعرفية الأخرى ، من هنا تختلف دائرة العلم عن الفلسفة وعن الدين ... فماهي السمات الرئيسية للتفكير العلمي ؟

لا يسمح المجال في هذا السياق للإطناب في سمات العلم ولذلك سنتوقف عند سمّتين أساسيتين هما : التراكم والتنظيم (أو الإنتظام) . هذه السمات تمثّل مقياساً نقيس به مدى علمية أي نوع من التفكير يقوم به الإنسان . إن أول هذه السمات هي التراكمية أو (التراكم) وهذا اللفظ يصف الطريقة التي يتطوّر بها العلم والتي يعلو بها صرحه . ولقد شبه الدكتور فؤاد زكريا سمة التراكمية في العلم كما يلي : « المعرفة العلمية أشبه بالبناء الذي يتشيد طابقاً فوق طابق ، مع فارق أساسي هو أن سكان هذا البناء ينتقلون يوماً إلى الطابق الأعلى . أي أنّهم كلما شيّدوا طابقاً جديداً ، انتقلوا إليه ، وتركوا الطوابق السفلى لتكون مجرد أساس يرتكز عليه البناء » . معنى هذا أنّ كل نظرية علمية جديدة تحل محل النظرية القديمة ، والوضع الذي يقبله العلماء في أي عصر هو الوضع الذي يمثل حالة العلم في ذلك العصر بعينه لا في أي عصر سابق . والنظرية العلمية السابقة تصبح بمجرد ظهور الجديدة شيئاً « تاريخياً » أي أنّها تهم مؤرّخ العلم ، لا العالم نفسه . معنى هذا أنّ سمة التراكمية تحيلنا إلى مسألة أخرى ، وهي أن الحقيقة العلمية نسبية . كما أنّ العلم يتميّز بسمات خاصة به ، لذلك فهو يختلف عن المجالات المعرفية الأخرى كالدين ، فهذا الأخير يتميّز بالثبات في منطقاته الأساسية ومبادئه الأولية لذلك فهو يسحب منا حق النقد ، إلى جانب طابع القدسية التي توطر المقولات الدينية في داخل نسيجه بالذات . كذلك يختلف العلم عن البحث

التي تؤطر المقولات الدينية في داخل نسيجه بالذات . كذلك يختلف العلم عن البحث الفلسفي من حيث نسيج كل منهما ومن حيث الحقيقة ، والموضوعات التي يتطرق إليها كل بحث . ومن سمات العلم كذلك إضافة الجديد إلى القديم ، ومن ثم فإن نطاق المعرفة يتسع باستمرار ، كما أن نطاق الجهل الذي يبده العلم ينكمش باستمرار ، وبلغة أخرى كلما اتسعت دائرة العلم ، كلما انحصرت وتقلصت دائرة اللأعلم (الخرافة - الشعوذة ... إلخ)

أما السمة الأخرى من سمات العلم فهي ممثلة في التنظيم ، صحيح أن الإنسان لم ينقطع عن التفكير منذ أن وجد إلى عصرنا الراهن ، ولكن التفكير العلمي لم يكن نسخاً من هذا التفكير ، بل هو قبل كل شيء تفكير منظم ، وهذا ما عبر عنه وأشار إليه ديكارت - مؤسس الفلسفة الحديثة والإبستيمولوجيا في ثوبها الحديث - في قواعد المنهج ، وكذلك في مقولة الكوجيتو « أنا أفكر إذا أنا موجود » . فالتفكير المنظم هو ذلك التفكير الذي لا تكون فيه أفكارنا متروكة تسير حرة طليقة ، ولتحقيق ذلك لا بد من التغلب على كثير من عاداتنا اليومية الشائعة ولقد أصاب أرسطو في قوله : « خير عادة أن لا تكون للإنسان عادة » . والتنظيم يقصد به أولاً ، التنظيم لأسلوب ممارستنا العقلية ، وكذلك في الوقت ذاته تنظيم للعالم الخارجي ومعنى هذا أن الواقع على غاية التشابك والتعقيد والتعميم وتكمن أهمية العالم في كيفية القبض على الخاص في سياق العام والجزئي من الكلّي . وهنا نجد أنفسنا مرة أخرى أمام الاختلاف بين العلم والفلسفة من حيث المنهج والموضوع وطريقة التحليل ، ولكن سمة التنظيم لا تقتصر على العلم وحده ، ولكنها تتخذ شكلها الخاص في المجال العلمي ، انطلاقاً من المنهجية وبالإعتماد على خطوات البحث العلمي . إذ أن المنهج العلمي يمثل الركيزة الأساسية في عمل المختص بأي علم من العلوم . ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المنهج العلمي متغير ، متحوّل ، ومن هنا كانت فلسفة العلوم - أو فلسفة العلم - فلسفة منفتحة . يقول غاستون باشلار : « وبما أن العلم غير مكتمل على الدوام ، فإن فلسفة العلوم محصورة ، أغلب الأحيان في نطاق طرفي المعرفة والعلم : في نطاق دراسة الفلاسفة للأصول البالغة العمومية ، وفي نطاق دراسة العلماء للنتائج البالغة الخصوصية » . معنى هذا أن موضوع العلم هو الخاص وموضوع

الفلسفة هو العام .

هذه بعض ملامح أوسمات البحث العلمي تاريخياً ، ولكن العلم الحديث عند تركّزه في القرن السادس عشر (ق 16م) اعتمد على الحتمية ، فماهو هذا المفهوم الذي حدّد ملامح التصوّر العلمي في الغرب ؟ وهل أنّ هذا المفهوم (الحتمية) يكفي عند توفره في منظومة علمية ، حتّى نستطيع أنّ نتحدّث عن النتيجة العلمية ودقة الحقيقة فيها . وماهي علاقة الحتمية بالقانون في العصر الحديث ؟

(2) - الحتمية والقانون :

يتميّز العلم الحديث بامتلاكه المناهج الدقيقة للبحث عن العلاقات والترابطات الواقعية بين الأشياء والظواهر وإلى الكشف عن عللها الطبيعية . ولوعدنا إلى الحضارة اليونانية لألفينا « طاليس » (ق 6 ق . م) يردّ العالم إلى علّة طبيعية واحدة هي الماء (ولفّ لفّه البقية من أعلام المدرسة الطبيعية) ، ورغم ما في هذا الموقف - موقف « طاليس » - من سذاجة ولامح التفكير الأسطوري (بحكم أهمية الماء في التصوّر الأسطوري في الحضارات الشرقية القديمة) ، فإنّه يعتبر موقف أولي ضروري ، إذ يتّجه إلى تفسير الأشياء والحوادث بعلم طبيعيّة ، وهذا الموقف هو الشرط الأوّل لكل بحث علمي ، ولقد أصاب أحد المؤرّخين القول ، عندما رأى في تفكير أعلام المدرسة الطبيعية النواة الأولى للفصل بين العلم واللاعلم ، طالما أنّ هذا الموقف إذ يدعو إلى بحث الواقع الطبيعي ، يقرّ بخضوع الأشياء والظواهر للتقيد السببي ويؤكد بالتالي مبدأ الحتمية . إذ أنّ الحتمية في أبسط أشكالها هي الإقرار بأنّ الأشياء والظواهر مقيّدة سببياً أو محدّدة بعلم طبيعيّة ، ولكن الحتمية ليست مرادفة للسببية (العلية) لأنّها تضيف إليها - كما هو واضح - الإقرار بأنّ هذه السببية طبيعيّة . والحتمية مرتبطة بتقدّم المعرفة العلمية . إنّها ليست مبدأ فطرياً قديماً بالمعنى « الكانطي » أو ضرورة عقلية كما يرى « هيجل » بل مكسب من مكاسب الفكر الإنساني وثمرة من ثمار حوار مع الطبيعة ، واكتشافه لبعض قوانينها ، يقول « الدكتور نايف بلّوز » : « وإذا كان يصحّ الحديث عن تأسيس « ديمقريطس » و « ديكارت » و « هوبز » و « سبينوزا » لمبدأ الحتمية وتأكيدهم على أنّ ما يحدث في الطبيعة يحدث بموجب ضرورة طبيعيّة فإنّ انتصار مبدأ الحتمية

كموقف نظري شامل ومتناسك لم يتم قبل القرن الثامن عشر ميلادي وذلك بعد أن ساد الإتجاه إلى تقديم صورة آليّة عن العالم مؤيدة بمنجزات ومبادئ علم الميكانيك . ومن هنا عبارة الحتمية الميكانيكية (الآلية) التي تتضمن قبل كلّ شيء تسويفا عقلياً لإمكان التنبؤ العلمي أو التوقع الدقيق » . إنّ بين الحتمية (اطراد نظام العالم) والعلم علاقة لا سبيل إلى خصمها إذ لا يمكن بدون الإقرار بأنّ العالم يسوده نظام كلي مطرد ، تصوّر قيام العلم ، لقد قال العالم الرياضي الفرنسي « هنري بوانكاريه » : إنّ العلم حتمي بالبداية ... ولولا الحتمية لما كان العلم ممكناً « . لذا فإنّ كلّ نظرية فلسفية تحاول تأسيس العلم بدون قبول مبدأ الحتمية تجد نفسها مسوقة إلى حمل معول هدم العلم ذاته وهذا ما عبّر عنه « كانط » عندما أدرك استحالة بناء فلسفة قائمة على أسس علمية صارمة ، فلجأ إلى الأخلاق القائمة بالأساس على مقولة « النية الطيبة » . ونفس الإنزلاق المعرفي وقع فيه « هوسرل » عندما رغب في بناء الفلسفة على أسس علمية إلاّ أنّه أعلن - وبعد جهد « فينومينولوجي » شاقّ - صراحة : « أنّ الفلسفة بما هي علم دقيق ، حلم راودني وقد انتهى » .

لذا ، غالباً ما تكون أيّ معرفة علمية جديدة هي إثبات للحتمية وإغناء لمعرفتنا عنها . ولكن في المقابل نجد بعض العلماء المعاصرين لم يسلموا بهذه العلاقة الوثيقة بين العلم والحتمية وبالأخص في بعض المسائل التي يطرحها تقدم علم فيزياء الصغائر (الميكروفيزياء) وطرحوا مفهومها - كتنقيض للحتمية حسب رأيهم - وهو مفهوم الاحتمية (اللاتين) في مجال الظواهر الميكروفيزيائية . والواقع أنّه قد تم منذ مطلع القرن العشرين ، اكتشاف ترابطات وعلاقات جديدة في الطبيعة لم يكن من السهل التوفيق بينها وبين التصورات القائمة على قانون الحتمية الميكانيكية ولكن رغم إقرارنا بعدم قدرة الحتمية وقوانينها على استيعاب الميكروفيزياء ، فإنّ إلغائها يعني إلغاء العلم . إنّ عدم الإنطلاق من نقطة اطراد نظام العالم يعني مباشرة أننا خرجنا من دائرة العلم وبخلنا بواثر أخرى كالتنجيم وماشابه هذا النسق ... صحيح أنّ الحتمية تشكو من نواقص فالعالم يبدو في قوانينها وكأنّه ناجز ومكتمل ، وفي هذه النقطة ، إنساق علماء العلوم الإنسانية - عند نشأة هذا

العلم - فعالجوا الظواهر الإنسانية معتمدين على أدوات البحث في المنهج الوضعي وبالتحديد عند أصحاب المدرسة الوضعية . فكانت نتائجهم في أغلبها عقيمة ... ومع ازدياد التطورات العلمية لم تعد الحتمية الميكانيكية قاصرة على استيعاب علاقة الحادث بشروطه الذي يجعل مفهوم الضرورة مرتبطا بمفهوم الشروط .. وقد انتبه « ماركس » إلى قصور الحتمية الميكانيكية فصاغ مبدأ الديناميكية والممكن وتمكن بالتالي من التنبؤ بأزمة النظام الرأسمالي ... وقد ساهمت الإكتشافات العلمية وبالأخص النسبية عند انشتاين في التأثير في الدور العلمي القائم على قانون الحتمية ، فتغيرت ملامح الحتمية في العصر الراهن ، إنها تكتسب اليوم من خلال تعميم نتائج العلم المعاصر ، ملامح جديدة فهي تقر بوجود أشكال مختلفة للعلاقات والترابطات في الواقع الموضوعي ، أي أنها لم تعد مجرد الإقرار بالعلية الطبيعية فحسب بل تعدت هذا إلى الإقرار بمختلف أشكال الترابط الموضوعي ، ولقد أشار بعض النقاد المعاصرين إلى هذه الصحوة في نسيج الحتمية وقوانينها عندما بين أنها تطورت بمجرد الرجوع إلى بنية التفكير اليوناني وبالتحديد إلى فكر « ليكراس » صاحب القول الشهير :

L'ensemble des choses evolue necessairement d'un etat a un autre aucune ne demeure semblable a elle meme tout passe, tout change et se transforme , par ordre de la nature .

ومع نشوء وتطور هذه الحتمية الجدلية ، يصبح ما يسمى لا حتمية أو انهيارا للحتمية القديمة قابلا للتفسير . إن الفيزياء الحديثة تثبت وجود قوانين في مجال الصغائر تقسم توقعها ذا صفة احتمالية فقط : فالعالم الفيزيائي لا يعرف مسبقا عن مواضع الجزئيات المقنوفة (الالكوتنيات ، مثلا) سوى توزيعها وانتشارها على حاجز أو شاشة ضوئية . أما ظهور هذا الجزئي أو الجسم في موقع معين على الشاشة فمعرفتنا به قاصرة . ولا يمكننا هنا التحدث إلا عن الإحتمال المنتظم في قانون إحصائي ، في هذا السياق نستحضر الأهمية القصوى لتربيض الوقائع التجريبية ، وبلفة أخرى توظيف الرياضيات لخدمة العلوم التجريبية .

إن فكرة الحتمية ليست مطلبا داخليا في البحث العلمي فحسب بل إنها قد نمت في الصراع مع الأوهام اللأعلمية والفكر الغيبي . فالطب لم يفرض نفسه كفرع

علمي إلا بمكافحة تفسير المرض كشيء من عمل الشيطان . إن العلم يدحض تفسير انحباس المطر كعقاب للكفار . لقد أعدم «قاليلي» بحكم نظريته العلمية ، وما إعدامه إلا أدلة قاطعة على الصراع المرير بين العلم واللاعلم .

(3) - الحتمية في ضوء جدلية المعرفة العلمية :

عرفت الشعوب الغربية منعرجا حاسما في تاريخها في القرن الثامن عشر ميلادي (ق18م) إذ بانتصار الطبقة البرجوازية واعتلائها السلطة ، توجهت لتحقيق أهدافها فاتخذت من العلم الوسيلة الأساسية في بناء بنيتها التحتية . وأطلق عنان العقل من أوثاده التي كبلته في العصر الوسيط ، عهد الكنيسة على التفكير في كل تجلياته . إن هذه التغييرات العميقة على المستوى الاجتماعي والإقتصادي والثقافي أثرت على طبيعة التفكير وعلى العلم بشكل خاص ، وقد أثرت على المفهوم العلمي في حد ذاته فكيف تعاملت الحتمية مع هذه التغييرات وماهي مكانتها في ضوء جدلية المعرفة العلمية . إن الحديث عن الجدلية في المنظور الفلسفي - العلمي ، يحيلنا إلى الحديث عن المرحلة التاريخية الهامة للجدل ألا وهي القرن 18م والقرن 19م (طبعاً بدون إغفال الجوانب التاريخية - مثل «هيراقليطس» ...) . إن كل الأنماط الفلسفية الجدلية أو فلسفة العلم ، تمكنت من التغلب على بعض المسائل الفكرية المعقدة بحكم تشابك عناصرها الداخلية ، وطالما أن المنظومات الأشد تعقيدا تمتلك قوانين خاصة ، فإن الحتمية في صيغتها الميكانيكية لم تعد قادرة على استيعاب هذه الظواهر والوقائع المعقدة ، إذ لا يمكن من وجهة النظر الآلية الإقرار بوجود بنية مستقلة وقوانين بنوية لهذه المنظومات (الوقائع المعقدة) وعليه فإن قوانين المنظومة ستكون أكثر تعقيدا كلما تعقدت المنظومة نفسها . وهذه المنظومات لا يمكن فهمها إلا في سياق العلاقة بين القانون الديناميكي والقانون الإحصائي ، وطبعاً هذا لم يتم إلا بتأثير تقدم علم الفيزياء . فمفهوم الضغط هو مفهوم إحصائي لا يعتمد على معرفة تامة بسلوك كل ذرة أو جزيء . وكذلك مفهوم درجة الحرارة فلو كانت حركة كل ذرة ووضعها معروفين لما كان ثمة معنى لمفهوم درجة حرارة الغاز . هكذا نلاحظ أن الحتمية تطورت في خضم التطورات العلمية ، لذا وجب على شروط قوانينها أن تلائم

التغييرات . فكان من الضروري تحليل الشروط لأنه (أي التحليل) مطلب منهجي في الحتمية المعاصرة التي تقرّ بالتقيّد الشرطي للأشياء والعمليات وتتفي وجود أشياء معزولة بصورة مطلقة وتدعو إلى دراسة أشكال الترابط وإلى التمييز بين السببية والقانون وبين الحوادث والقوانين من جهة وشروطها من جهة أخرى . إنّ القانون هو ترابط ضروري عام وجوهري يوجد على أساس جملة العلاقات السببية . والظاهرة الملموسة التي يوجد فيها القانون ويحدّد طبيعتها ليست متميّزة سلفاً إلى جوانب جوهرية وغير جوهرية ، ضرورية وعرضية ، عامة وبخاصة . أمّا جملة الشروط الضرورية والكافية لوجود القانون فهي ما يسمى «شروط تحقق القانون أو باختصار شروط القانون» . فلكي يصبح قانون «قائلي» لسقوط الأجسام ممكن الوجود يجب بالضرورة أن تتوفر الشروط التالية : وجود الأرض والأجسام والفضاء الخالي نسبياً من المادة ... ففي ظلّ هذه الشروط يصبح السقوط الحر للجسم ممكناً حسب العلاقات المحددة في قانون سقوط الأجسام بين مسافة السقوط وزمن السقوط وجاذبية الأرض . لذلك عدّ القانون وهو علاقة ماهوية (جوهرية) اكتشافاً لماهية الظاهرة ، إنّهُ الظهي الدائم والباقي والمتجانس في الظواهر والحوادث . نستنتج ممّا تقدم أنّ المفاهيم هي الأشكال الأساسية في المعرفة العقلية ، والفكرة أي فكرة لا يمكن أن تتحرّر من المفاهيم أو تقوم بدونها . غير أنّ المفاهيم لا تقيم صلة مباشرة بالشيء أو الظاهرة كما في الصورة الحسية المنقولة عن الشيء (كنسخة عنه) بل تمثل انعكاساً ذهنياً دلاليّاً غير مباشر عن فئة من الموضوعات - مجال الإهتمام العلمي - وفي هذا الإنعكاس تبرز ملامحها الثابتة فقط أي صفاتها وعلاقاتها الأساسية المشتركة وبلغه «أرسطو» : لا علم إلّا بالكلّيات .

الخاتمة

يعدّ هذا الطرح الموجز لسمات التفكير العلمي وإحدى مفاهيمه المتمثلة في الحتمية وقوانينها ، نلاحظ أنّ البناء العلمي يكتسب بناء خاصاً به ، ولا ينمو إلّا في ظروف موضوعية تدفع إلى التقدم ولكن لا يعني أنّ الإكتشاف العلمي محكوم بهذه الظروف بصورة ميكانيكية فقد يكون الواقع متخلفاً وتحدث ثورة علمية (في هذا السياق وعلى سبيل الذكر لا الحصر ، نستحضر ثورة كوبرنيك ونظرية قايلي حول

- أذهاننا أن علاقة الفكر بالواقع تفهم وتفسر وفق ثلاثة احتمالات : (نقصد بالإحتمال هنا المعنى العلمي أي الإحتمال العلمي).
- قد يسبق الفكر (من ضمنه الفكر العلمي) الواقع
- وقد يتزامن الفكر والواقع
- وقد يتأخر الفكر عن الواقع وبالأخص في فترات تواجد سلطة استبدادية مطلقة ...

هذا من جانب ومن جانب آخر ، ومما تقدم ذكره نلاحظ أن العلم يمتلك نسيجا خاصا به ، فإلى جانب تأثره بالظروف الموضوعية ، يتطور انطلاقا من بنيانه الخاص به أو ما يعبر عنه بالنسيج الداخلي . كما أن التفكير العلمي يركز على سمات أساسية لعل أهمها السمة التراكمية أو سمة التراكم ، فالعالم (المختص) ليس في حاجة لقرار سلطة سياسية أو دينية حتى يحصل على نتائج علمية ، إنه في مخبره يتعامل مع موضوعه في إطار معزول عن كل المؤثرات ، وبالتالي تكون النتائج تحصيليا حاصلًا للأسباب والمنهج المطبق والمتبع في هذا البحث أوداك ... صحيح قد تعارض سلطة سياسية ما أو دينية ، قانونا علميا جديدا عندما يتعارض ويتناقض مع مصالحها ويكشف عن زيف أيديولوجيتها ولكن من المستحيل أن تغنده بالحجة والبرهان ، لأنها إذا لجأت إلى هذه الملامح العلمية فهي حتما ستقر بنفس النتيجة التي تعمل على تغييرها ، ذلك أن الأطروحات العلمية في صيغتها المحضة والدقيقة لا تراوح ولا تقر بما يسمى « بين بين » إذ يستحيل أن نقول في لغة العلم للأعور أنت أحول ، وما قاله غاليلي للسلطة الكنسية (نسبة إلى الكنيسة) أكبر دليل على دقة الإكتشاف العلمي وتماسكه الداخلي \.

* المصادر والمراجع المعتمدة في هذا المقال

- فلسفة الرفض - غاستون باشلار - ترجمة د. خليل دار الحداثة - لبنان -

critique de la raison pure / e. klammarrion

de la nature des choses :lucrece /editions sociales

* مناهج البحث في العلوم الطبيعية (الجزء الثاني) تأليف الدكتور نايف بلوز مطبعة الإنشاء .

* التفكير العلمي - فؤاد زكريا -

الجسد في علم النفس

بقلم : محمد الكبوري
أخصائي نفسي

مقدمة :

شكل الجسد حدثاً في الفلسفة من حيث أصبح ينظر إليه كموضوع قائم الذات بعد أن عملت الفلسفة كلّ ما في وسعها لإبعاده عن ساحتها فحملت ضدّه شعاراً مُرعباً صاغه أفلاطون عندما حدّد الفلسفة كتدرّب على الموت أي كسعي متواصل لمغادرة الجسد و « الفرار من سجنه » ، فأفلاطون يعتبر الجسد بمثابة « الآخر » الغريب الذي يسكننا ، أو العائق المزعج لذائقنا وقد عمّق بالتالي الهوة بين الروح والجسد وأخضع هذا الأخير لسلطة الروح .

لكن عند ظهور نظريات العقد الاجتماعي التي إرتكزت على مبدأ المساواة الطبيعية بين الأفراد وعلى مشاركتهم الحرة في إنتاج نظام إجتماعي - سياسي ، وسيلته الإنسان وغايته الإنسان كذلك ، فإن الأفراد أصبحوا بموجب ذلك التحوّل أسياداً لأجسادهم لا أقتنائاً يخضعون لسلطة الاقطاعيين .

فظهر المجتمع المدني على يد كلّ من سبينوزا وروسو لعب دوراً مهماً في تحرير الجسد حتى أنّ هيقل أصبح يعتبر العمل كأداة تحرير الإنسان والاعتراف به كإنسان . أمّا كارل ماركس فإنه نقد هذا التحرير المنقوص مبيناً أنه يؤدي إلى إستغلال الانسان كما يؤدي إلى اغتراب منظم للجسد .

وقد واصل الفكر المعاصر نقد أشكال السيطرة على الجسد ، كما يتجلى ذلك في أعمال فوكو مثلاً الذي يبيّن في (المراقبة والعقاب) كيف يتنزّل في المجال السياسي وكيف تمارس علاقات السلطة المبثوثة في كلّ أجهزة المجتمع ومؤسسات الحكم هيمنة واضحة أو خفية على الجسم فتطبعه وتستثمره وترغمه على شتى الأعمال والانضباطات . ولا يخفى ما لهذه التكنولوجيا السياسية للجسد من خطورة

قد تفوق أشكال الهيمنة القديمة أحيانا لأنها أصبحت تسري في كل قنوات العلاقات البشرية . لذا أصبح من الاكيد فضحها ونقدها لمساعدة الجسد على استرجاع أو تدعيم حقوقه .

وقد عمل سبينوزا (الأخلاق) على إعتبار الإنسان واحد لا ينبغي أن يفصل فيه بين الأشكال الذهنية والأشكال الجسدية . لذا نجد سبينوزا يضيف على الجسد والروح نفس القيمة الأنطولوجية والأخلاقية ، وينقد الموقف الديكارتي الذي يكرس التصور الماورائي عن علاقة النفس بالجسم . فديكارت يعتقد أن النفس والجسم من جوهرين مختلفين يفضل الواحد فيهما عن الآخر .

نلاحظ في هذا السياق أيضا بأن علم النفس في تسمية قد غيَّب الجسد فكلمة Psychologie تعني Psyche أي الروح أو النفس و logos وتعني علم لكن إقصاء الجسد من علم النفس يبقى على نطاق التسمية فقط .

الجسد في التحليل النفسي

ركّز فرويد في دراسته للنمو النفسي الجنسي للطفل على المراكز الشبقية les zones erogenes التي تمرّجها في المرحلة الأولى التي تمتد من الولادة إلى السنة بالفم كأداة تواصل مع العالم الخارجي ووسيلة يحقق بها الرضيع حاجاته البيولوجية البدائية كالأكل والشرب .

ثم إنتقل فرويد إلى الإهتمام بالشرح الذي تتمحور حوله عمليتا إمساك وإخراج الفضلات وما لهذين العمليتين من أهمية عند دراسة الشخصية المرضية خصوصاً الشخصية الوسواسية والبارانويا .

أما في حدود الأربع سنوات فيصبح القضيب المركز الشبقي الذي يتمحور حوله النمو حيث يصبح العضو الذكري مثار إهتمام الطفل فيبدأ في تكوين صورة عامة عن شخصيته .

في مقابل ذلك يؤكد فرويد والمحللون الآخرون على أنه منذ الولادة وحتى سنّ الثلاثة أشهر الأولى من حياته يعيش الطفل حالة إنصهار تامّ Etat de confusion totale مع الآخر المتجسّد في الأم أو من يقوم مقامها أي من يعوّضها ، فيكون الآخر وخصوصاً الثدي امتداداً للأنثى الذي لم يستقل بعد .

يبدأ الاحساس باستقلالية الجسد تدريجياً مع تمكّن صدر الأم رمزياً D.W.Winnicott وفي مرحلة الوضع المعني في 6 أشهر (ميلاني كلان) وفي سن 8 أشهر مع R.Spitz D.W.Winnicott يرى بأن الرضيع يبكي عندما تُمحي من مخيلته صورة أداة الإشباع لذلك يؤكد في كتابه (من طب الأطفال إلى التحليل النفسي) على دخول الأم في مرحلة مرض طبيعي حتى لا يتشوّه مسار الشخصنة Personnification الذي يمرّ به الطفل .

أمّا ميلاني كلان فإنّها ترى بأنّ الطفل يعيش حالة من الإكتئاب لكن ليس في مفهومه المرضي عندما يعرف بأنّ الأم هي مصدر الإشباع و الإحباط في نفس الوقت . ويذهب R.Spitz إلى قول نفس الشيء لكن بلغة مختلفة حيث جعل من قلق أو حصر l'angoisse الثمانية أشهر الإنطلاقة الأولى لمعرفة الأنا كجسم مستقلّ وذلك عن طريق الخوف والفزع عند رؤية كلّ وجه غريب .

نستنتج ممّا سبق بأنّ الطفل في الأشهر الأولى من عمره لا يعي جسمه ، لذلك لا يمكننا أن نتحدّث عن حدود لهذا الجسم وتكمن أهمية هذه الدراسات في كونها تبين لنا بأنّ معرفة الجسد الخاص لا تتمّ إلا عبر معرفة جسد الآخر .

ولعلّ عملية الفطام (le sevrage) تبقى التجربة التي يتمّ من خلالها انفصال جسم الطفل عن جسم أمّه خصوصاً في مجتمعنا العربي الإسلامي .

أمّا (J.Lacan) فقد قام بتجربة هي أقرب منها إلى علم الاجتماع من علم النفس . وقد انطلق في تتبّعه لنموّ الطفل من تجربة أو مرحلة المرأة le stade du miroir حيث لاحظ لاكان بأنّه إذا وضعنا رضيعاً في سنّ ثمانية أشهر أمام مرآة فإنّه سيحاول لمس صورته معتقداً بأنّه أمام طفل آخر في حين أنّه يتجه عند بلوغه اثني عشر شهراً وراء المرأة بحثاً عن الآخر ظناً منه بأنّ الصورة لا تمثله هو . أمّا عند بلوغه العام والنصف فإنّ الطفل يعرف بأنّ الصورة المرسومة على المرأة هي صورته هو ويبدأ بذلك تحديد الواقع ومن ورائه الجسد ، لكن تبقى هذه العلاقة غير تامةً وغير متوازنة نظراً للتوازن الحسيّ - الحركي وعدم اكتمال نضج الدماغ le Systeme pyramidal الذي ينقل الأحاساس عبر الأعصاب المصدرة للدماغ .

الجسد في علم النفس المرضي

حضي الجسد في علم النفس المرضي بمكانة خاصة حيث مثل محور بحوث المهتمين بهذا الميدان وكانهم بذلك قاموا بعملية تعويض للتخلص من الإحساس بالذنب تجاه الجسد .

ويعتبر فرويد - بالرغم مما ذكرناه سابقاً بخصوص دراسة الشخصية السوية - أول من انتبه إلى علاقة الجسد بالصراعات النفسية العميقة . وقد بين فرويد في دروسه حول الهستيريا خصوصاً تلك المرتبطة بحالتي Anna و Dora بأن الجسد مسرح للصراعات النفسية حيث تطفو الرضات les Traumatismes والصراعات لتتشكل وتظهر في الجسد وذلك عن طريق آليتين دفاعيتين أساسيتين في مرض الهستيريا وهما آليتا التحويل والانقلاب ، فبواسطتهما تقلت محاور الصراع من رقابة الأنا الأعلى وبلغت أخرى عندما يعجز الأنا عن القيام بعملية توفيقية بين متطلبات الواقع ومبدأ اللذة الذي يقود الهو فيتحوّل الصراع بذلك من الداخل الذي يملكه الجهاز النفسي إلى الخارج الذي يملكه الجسد فيصبح هذا الأخير مرآة تعكس الصراع النفسي .

قد تكون المقاربة هنا بين الجسد والحلم جائزة لأنهما في كلتا الحالتين يعبران عن دوافع ورغبات مكبوتة برزت وتجسدت في الأول وأشيعت في الثاني . إن المتأمل في أعراض الهستيريا يلاحظ بوضوح أهمية الأعراض البدنية التي تضم :

- العمى الهستيرى

- عدم القدرة على الوقوف والمشي

- الشلل النصفي

- الشلل العضوي

- فقدان النطق

- الام في الرأس ...

أما في الحالات الفاصلة وهي الحالات التي تفصل مجموعة الأمراض العصبية عن مجموعة الأمراض الذهانية فإن علاقة الفرد بجسمه تأخذ طابعاً آخر . لكن قبل التطرق إلى دراسة هذه العلاقة نذكر بأن الحالات الفاصلة يغلب عليها الطابع

الإكتئابى ويلعب فيها الآخر دور الواقى من السقوط فى المرض .

لتبيان نمط العلاقة بين المريض وجسده نبسط الحالة التالية : طالبة بمعهد الفنون الجميلة تبلغ من العمر أربعة وعشرين سنة تحدثت فى أوّل لقاء عن خيبتها العاطفية . ويرجع تاريخ مرضها إلى سنة مضت حيث كانت تحسّ بالألم فى الرأس وقد عادت مجموعة من الأخصائيّين فى طبّ الأعصاب لكن دون جدوى .

عن عائلتها تقول بأنّها أخت لولدين وبنتين وقد أمضت طفولة سعيدة خصوصاً مع والدها الذى يدلّها كثيراً . عن حياتها تقول بأنّها غير مرتاحة حيث تضطرّ لتغيير مكان إقامتها عدّة مرّات .

أمّا عن محاولتها الانتحار فقد أكدت بأنّها حاولت القيام بعملية تصعيد لكنها فشلت فوجدت نفسها محاصرة وقد ردّت ذلك أى محاولة الانتحار إلى صديق تعرّف إلىّ منذ سنتين وعاشت معه أوّل تجربة جنسية لكنه خانها وبما أنّها شديدة الارتباط به فقد قرّرت وضع حدّ لحياتها .

بعد أسبوع من نهاية الجلسة العلاجية الأولى عادت بلباس فاضح ويجرح عميق على الذراع الأيسر حيث عمدت إلى تمزيق لحمها بواسطة مقصّ واستعملت دمها لرسم وجه الإنسان الذى تحبّه .

وبعد أيّام من دخولها المستشفى عمدت إلى ربط علاقات جنسية غيرية لكنّها رجعت إلى جرح عدّة أماكن من جسدها راسمة هذه المرّة نساء عاريات . كما اختلط الجانب المرح من شخصيتها بالجانب العدوانى .

يتبيّن لنا من خلال ما سبق بأنّ عقدة المريضة جسدية ونفسية فى آن واحد . ويتمحور هذا الإشكال حول الحدود les limites ، أى بين الأنثى والجسد فالجسد أساس تصوّر الذات la représentation le soi والأداة تواصل مع الآخر وهو أيضاً الفاصل بين العالم الداخلى والعالم الخارجى أى بين العالم النفسى للأنثى والعالم النفسى للآخر .

نلاحظ أنّ هذا الفاصل لا وجود له عند مريضتنا ويبقى بذلك جسدها مسرحاً للصراع وللعمل le lieu de l'agir .

الجسد فى الطبّ النفسى :

يهتمّ الطبّ النفسي بدراسة الأمراض البدنيّة ذات الأسباب النفسيّة ، وهو بذلك يكشف عن وحدة الجسم والنفس ، أي الترابط العضوي الحيّ بينهما . وصار تحوّل الجسدي إلى نفسي ، أو العكس أيضا ظاهرة معروفة ، فهناك الشلل ذو السبب النفسي والعمى الهستيريري حيث تكون العينان سليمتان من الوجهة العضويّة أو الفيزيولوجيّة ، وقد يكون فقدان الصوت مرتدّا إلى عامل غير وظائفه ، كما نشير أيضا إلى الأرق والتقيّة عند الحامل وآلام العادة الشهرية ...

ثم إنه من اليسير الإشارة إلى النشوء النفسي للظاهرة البدنيّة المرضيّة في أعراض متعدّدة داخل الجهاز النفسي كالغدّة مثلا Asthne¹ ، والجهاز الهضمي كقرحة المعدة Ulcere¹ ، والدم والجلد ...

أي أنّ الطبّ النفسجسدي يؤكد ويوضّح في نفس الوقت وحدة الكائن البشري واعتبار الجسد مركزاً ومحوراً وبذلك نتجاوز النظرة التقليدية والأوليّة المعطاة لهذا أو لذاك داخل الإنسان . وإنّ البتر المسبّق الفرضي لوحدة الإنسان والإعتبار التبخيبي للجسد أو تشيئه أو إعتباره لا مرضاً أو عجزاً أو قفصاً قولُ مردود على أصحابه .

كما يمكن الإشارة إلى أنّ الخلقية ¹le tache تشهد على دور الميول المكبوتة أو العواطف والرغبات المتصارعة في العارض الجسدي ، في إحداث حركة لا إراديّة أو لاواعية ، فهذه الحركة ليست بلا معنى ، أو آلية ميكانيكية ، أو اعتياد . وحتى إذا كانت أحيانا شيئاً من ذلك أو مفسّرة بدافع من تلك الدوافع ، فإنّها تبقى حركة في معظم الأحيان تعكس معنى نفسياً وتكشف عن ظاهرة نفسيّة أو صراع أو رغبة تودّ الظهور .

إنّ قضم الأظافر أو تحريك الساقين مثلاً حركة في الجسد حركتها وغدّتها وتتحرك وتتغيّ ، عند الأزمة أو القلق أو عند رغبة أو حركة إنفعالية .

وفي الحالات التي يتولّاها الطبيب النفسي ، في بلد أضنت فيه المخاوف الجسد حالات الإصابات التي ولّدها الحرب أكّدت أنّ الطبّ السليم هو الطبّ الذي يتوجّه للإنسان برمته وليس للجسدي أو البيولوجي وحده ، وأنّ الفصل بين وجهي الإنسان هو فعلٌ لا سويٌّ ومرضي . وأن لا حدود بين النفسي والجسدي إلّا في التفكير .

وتُعلَّم الحرب في تجارب الخوف أو عند الأزمة وتوقع الموت بأن الخائف لا يلحظ بأن جسده شيء مختلف عن روحه فالجسد ليس مغايرًا للروح أو منفصلاً عنها .
إنه هي وهي هو . إنها واحد .

لغة الجسد أو الخطاب المكبوت والمقنّع :

إنّ الجسد يمتلك لغة تبقى غير اللغة اللفظية وتُبقى المجال مفتوحاً باستمرار للتعبير والتوصيل . وألفاظ الجسد هي حركاته وإيماءاته ، مظهره وعوارضه ، إفصاحاته وإخفاقاته فتعبيرات الجسد متواصلة في إنفراده وفي تواصله المستمر داخل علائق مع الآخرين . إنه يرسل ويتلقّى ، يثير ويستجيب ، يثبّ ويردّ ، يعلن ويخفي فهو منفرد في شبكة نفسية اجتماعية .

قد تكذب اللغة اللفظية لأنها أداة تسلط بيد الوعي والإرادة لكن خطاب الجسد في حالات المكبوت والعوارض والتفسيديتات والاضطرابات السلوكية من عصاب وذهان ، أقدر وأفصح من الخطاب اللفظي . فالجسد قد يكشف ما تخفيه اللفظة ، ويعبر بطريقة غير مباشرة بل هو أهم وسيلة للتعبير . فالجسد أقدم تعبير كما أن تعبيره يتجاوز كل لغة لأنه كلام حي وعضوي حتى أن اللاوعي مسجل في الجسد .
وكي تظهر أهمية خطاب الجسد والعلاقة الجدلية بين اللفظي واللالفظي ، بين « الكلمة الحية » واللفظة فإننا نذكر :

1 - العوارض النفسية : للعارض النفسي معنى أو هو لغة . ثم هو تعبير عن صراع بين ميلين فهو بذلك تعبير مقنّع . ونذكر على سبيل المثال الأفعال المغلوطة كالنسيان ذي النوافع المخفية وزلات اللسان ... وإواليات النكوص مثل التبول اللاإرادي عند الطفل للردّ على سقوط منزلته عند والديه وغيرته من إخوته وإسقاطاته على لعبه وبخاصة في ظواهر السرقة والفاقة Begaie-ment واضطرابات التغذية .. كل تلك الظواهر أقنعة ، ومثلها أيضاً قضم الأظافر ومص الأصابع ... فالعارض تمويه وإبدال : إنه إخفاء لحادث جنسي في تفسيرات فرويد أو هو مشحون بدلالة جنسية ، الأهم هو أن ذلك العارض مظهر خارجي لمزق أو لمأساة علائقية . أما الأهم فهو أنه لغة .

2- أما الفصام la schizophenie : فهو إلى جانب كونه مرضاً إلا أنه لغة جسد

. والتفكك في الألفاظ هنا تفكك في الروابط : كالروابط الجنسية بين الوالدين (لأنه يثير قلق المشاهد الأول حسب تفسير التحليل النفسي) . فالفصام تعبير عن مأساة علائقية جنسية وعاطفية بين الوالدين .

كما يؤكد ذلك التعبير الجسدي ظواهر مرضية أخرى ، الحركات القسرية ، الاكتئاب ، هوس العظلة ... وفي كل ذلك نلاحظ الرد الجسدي وتعبيراته المحفورة في العضلات أي في الإنسان .

الجسد كتقنية وأداة لكشف ومعرفة الشخصية :

يستعمل الجسد كأداة لمعرفة عقدة المريض لذلك عمل الأخصائيون في ميدان علم النفس على تنويع الروائز والاختبارات . لعل أهمها الاختبارات الاسقاطية كالرورشاخ واختبار تفهم الموضوع T.A.T واختبار الإحباط ... فبواسطة هذه الاختبارات يستطيع الأخصائي تحديد مجال الصراع ومدى قدرة الشخص على رؤية الأشياء والكيفية التي يحل ويغير بها عن الوضعيات المرسومة .

ونتوقف هنا عند اختبار Machover لإبراز قيمة الذات ومن ورائها الجسد يهدف هذا الاختبار إلى الكشف عن تمثلي التقمص الجنسي «Identification, Sexuelle» لدى الطفل فنناوله ورقة وقلمنا ونطلب منه بعد ذلك رسم إنسان أو شخص ما . فالطلب هنا عبارة عن مثير مبهم «ambigre stimulus» فهل سيرسم الطفل إنساناً من نفس جنسه ؟ وماذا لو رسم إنساناً من الجنس الآخر ؟ لقد بين هذا الاختبار بأن عملية الاختيار اللاشعوري للشخص تعبر عن علاقات وصور تجاه الذات كذكر أو أنثى وتجاه الآخر . فعملية التماثل هذه تتحدد باستدماج الآخر ويعمل نفسي لا شعوري داخلي . لكن إذا كان فرويد قد أكد على أن عملية التماثل ضرورة لنمو الطفل فما هو محركها ؟

إن عملية التماثل لا بد منها لحماية الطفل من الاستيهامات التدميرية ومن الآخر العدوانى وبالتالي فعملية التماثل تكون في أول الأمر مع موضوع حسن كي لا يتعرض « الأنثى » للإحباط في صورة غياب هذا الموضوع ويؤدي ذلك إلى إعطاء صورة حسنة عن « الأنا و الآخر فتدّد بذلك انية الطائي

أما imitation de l'agressivité أو "تقبل جنسه" Acceptation du Sexe عملية التماثل مع العدوانى Identification a l'agresseur، فإنها تخفف من القلق باستدماج introjection « خصائص الآخر العدوانى . وقد عبّر B. Bettelheim عن ذلك بتقمص أسرى الحرب في مخيمات النازيين حيث يعملون إلى محاكاتهم في لباسهم وكلامهم بل وحتى في ساديتهم ... كما نشير أيضا إلى أن الخروج من العلاقة الأوديبيّة يكون بتقمص الطفل للوالد من نفس الجنس . لكن كيف تكون الأمور إذا كانت عملية التماثل عملية عكسيّة l'identification inverse ؟ إذا كانت آليات التماثل تؤدي إلى قبول الجنس وبالتالي الجسد من طرف الطفل فإن اختبار Machover يفرق بين عمليتين للتماثل وهما عملية التماثل الإيجابي التي تحدثنا عنها وعملية التماثل السلبي أو العكسي .

في هذه الحالة يتميّز الطفل بالخصائص التالية :

- 1 - بناء صورة سلبية عن الذات وعدم الرضا عن الجنس نظرا لفقدان الحب في مراحل الطفولة المبكرة .
- 2 - يتميّز الجهاز النفسى للطفل بأنا أعلى قاسى إلى جانب الشعور بالذنب .
- 3 - صورة الذات ليست صورة واضحة من جراء التماثل مع الجنس الآخر فالطفل في هذه الحالة لم يكون بعد « هويّة » فتتغلب على شخصيته الشكوك وعدم الثقة في النفس .

- 4 - الحماية المفرطة تعيق الطفل وتجعله دائما في حاجة إلى الآخر .

يمكننا أن نحصل ما سبق في الفرضيات التالية :

ف 1 - عدم وجود تماثل إيجابي . ف 2 - عملية التماثل مع الآخر العدوانى .

ف 3 - الشك والقلق اذان يصاحبان الذات وعدم القدرة على التمييز بين الخصائص الجنسية لكلا الجنسين ..

بعد وضع هذه الفرضيات ينتقل الأخصائى إلى العمل بإحداها بالرجوع إلى نتائج الاختبارات الأخرى وبالرجوع كذلك إلى تاريخ الطفل مع الأخذ بعين الاعتبار نتائج المقابلات مع الوالدين .

خاتمة

إذا كان الجسد قد مثل حدثاً في الفلسفة وهو الجزء المرئي فيها ، فإنه قد احتلّ مركز ومحور بحوث علماء النفس ، وقد أدّى هذا الاهتمام المتزايد بالجسد بالعديد من المهتمين بالميدان إلى إطلاق صيحة فزع - نراها شرعية - خوفاً من إنزلاق علم النفس نحو الفيزيولوجيا أو البيولوجيا ، ونحن إذ نؤكد وحدة علم النفس واستقلاليتة خصوصاً عن الفلسفة - لسوء الفهم الذي ما زال قائماً - بحكم إستقلالية موضوعه وخصوصية مناهجه إلا أننا لا ننفي التداخل المفروض بين العلوم في إختصاصاتها والمتعددة .

فالظاهرة الانسانية تتميز بالتغير ويتداخل عوامل شتى تبيح لنا الأخذ من هذا وذلك بهدف التعمق في التحليل والشمولية في الرؤية ، والجسد واحد من هذه المواضيع التي تخضع لنفس المنطق .

إن ثورة علم النفس ومن ورائه الجسد ليست فقط ثورة على السائد بل هي دعوة لإعطاء الجسد القيمة التي يستحقّ دون السقوط في التحررية المطلقة والدعوة إلى ثقافة الجسد .

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakinit.com>

المراجع :

- 1- د. علي الشنّوفي : محاضرة بعنوان « الجسد »
- 2- د. علي زيعور : لغة الجسد والتواصل غير اللفظي في الذات العربية .
_ s. freud : cinq psychalyses 3
_ J.lacan : Ecrits I 4
_ B. bettelheim: la forteresse vide 5
_ D.W.winnicott:De la pediatrie a la psychanalyse. 6
7_ M.klein: la psychanalyse des enfants
8_ Etude cas , revue de psychiatrie .

التأويل وعلوم الإنسان في نتاج " علي حرب "

بقلم : رمضان البرهومي

كثيراً ما يُلَمَح الفلاسفة وعلماء الإناسة إلى أن تشكيل مفهوم الإنسان أو حتى مُجَرَّد الاقتراب منه ، هو أمرٌ يَفْتَضِي التَّلَاحُم والتَّكامل المنهجي بين تلك العلوم المتصلة بالتكوين السيكلولوجي للفرد ، ثم دراسة تركيبة البناء الاجتماعي بمُجْمَلٍ ، مكونات نظامه الثقافي ورموزه اللغوية بما تعنيه من كل وسائل التواصل مع الآخرين ... لأنَّ الإنسان يمثل مساحة تتعاقق على أديمها كل المتناقضات بين طرفي ثنائيات نكتشفها من خلال آثارها .

" إذ يلتقي فيه المقدس بالمدنس وتصطدم لديه الرغبة في المطلق بحدود قدرته الأدمية . فالإنسان إنما هو علاقة ذات بذاتها ، وصلةٌ موجودة ، وهي صلةٌ مُركَّبةٌ تَفْتَحُ على أكثر من جانبٍ ولها غير بُعدٍ وشكلٍ ... (1) إلى هذا الحد يبدو أن اجترار ما ورثته الفلسفة وما أعادت صياغته وكررت قوله في الإنسان ، هو ممَّا لا يفيدنا في بلورة مفهوم بعينه ، كما الأمر غير في المباحث المتعلقة بما هو إنساني . على أنه قد يُخفي مثل هذا الاضطراب في مفهوم الإنسان لدى " علي حرب " فهو يُشير بصورة تُقارب القطع إلى أنَّ الإنسان ينبغي أن تُدرك حقيقته خارج دائرة التقرير " فهو ليس مُعطىً مُباشرًا وإنما هو تعارض وقلق ومُغايرة والوعي لا يتمُّ بكونه توسُّط والعقل حيلة والاجتماع ليس مساوياً لنفسه ... (2) .

هذه المحاولة في الاقتراب من مفهوم متحرك للإنسان ، إنَّتصر " حرب " للقول بما يقاربها لإكتشاف مُغلقات الذات البشرية ، وهي الخطوة التي تَسْمَحُ لنا بتجاوز الحدود الماكوفة في البحوث المتعلقة بالأصل الذي تحدَّى منه أوَّل آدمي وما يُحمل على خطيئته التي أخرجته من دائرة المطلق إلى مستوى المحدود .

حينما نتوقَّف عند هذا المستوى في المعرفة بالإنسان " فإن كلمة تحدَّى بمعناها

الحوي تجابهننا سؤال حول غمّي الجنس البشري ؟ (3) بتعبير " توينبي " وفق ما انتهى إليه خلال دراسته لتاريخ البشرية .

وإذا لم نحذر من الوقوع في خطأ البحث عن إجابات لمثل هذه التساؤلات . فإن آفاق الاستفهام ستمتدّ دون أن نعرف سبيلاً للخروج منها بتحديد تاريخي لفاعلية الذات البشرية . لكن بماذا سيفيدنا تقصّي الماضي في المعرفة بالإنسان ؟ هل أننا نتمكن بتأويل المعارف الإنسانية من تحويل النظرة في تقييم الزئاس الطّبيعي للإنسان ؟

وقصد مواجهة هذه التهاؤلات سيقصر " علي حرب " على وجود الإنسان من جهة كونه إنجاز أو فعل تشكّله عوامل عديدة . غير أن " اللسان " يكتسب حضوراً متميّزاً في مسار الوجود الإنساني فهو الأداة التي تربطه بمختلف أبعاد وأحداث الزّمن الذي يعيشه . وإن طرح مسألة الإنسان من جهة التّقويم التّاريخي أو التّقدير العلمي .

إننا سنتجاوز ذلك في قراءة " الحرب " التّوليّية ومثل تلك الإستنتاجات في تاريخ الفلسفة وخطاب الليانات السّماوية مما قد يمكننا من التّصدي لكل إستفهام عن المعنى الذي تلحقه بالحياة البشريّة " وهو ما يحملنا على طرح سؤالين كبيرين من جملة أسئلة أخرى : الأوّل يتعلق بمصيرنا النّهائي والثّاني بمنشأ النّوع البشري الذي ننتمي إليه " (4) .

لكن هذا النّمط من المساءلات لن يسمح لنا بقراءة تّوليّية لحقيقة الإنسان أو التّقصّي فيما يخفيه وراء ستار الوعي في معاملاته الجماعية دون أن يُحمّل ذلك على إنكار " علي حرب " قيمة التّناول الذهني والتّاريخي للإنسان .

مؤدى هذه الملاحظة أنّ المقاربات الفلسفيّة الحديثة لا تسعى لتكوين مفهوم جازم وقاطع لما يبدهه الإنسان . فلم تعد تفهم الحقيقة من الخطاب الفلسفي المعاصر من خلال مفهومات الجوهر والتّطابق المتصل بمقولات المنطق الأرسطي والفلسفات المتمحورة حول الماهية باعتبارها رمزاً للثّبات " بل تفهم بالترّجة الأولى من خلال مفهومات المغايرة مثل الإنتاج والتّوليد والإجراء والمفاضلة والتّفسير والسّلطة والممارسة وحسّ اللعب " (5)

يتَّضح من خلال هذه الإشارة أنَّ تطابق المعارف الإنسانية لا يثبت من ذاكرته أو تاريخه فحسب - الإنسان - ولا يرتبط بما عُرف في الكتب المقدسة بل يقتضي الإحاطة النسبية بحقيقة الإنسان لنحت تصوّرات مجاوزة لمكوّناته النفسيّة والاجتماعية .

هذه أبرز دواعي التّأويل في بناء علوم الإنسان إذ من غير الطّبيعي أن تقتصر على تأويل النّصوص مع أنّ الإنسان هو الذي يبدع خطاباته حول تلك النصوص . هكذا يواصل " حرب " تأوله في حقيقة الإنسان بواسطة شتّى المعارف المتعلّقة بهذا الكائن من مختلف المصادر الدينيّة الوضعيّة بما وفّرت العلوم الإنسانيّة لما تعرّضت معرفته في التّناولات السّابقة أو ما وقع تجاوزه من قراءات قد هوت أسسها فالإنسان " هذا الكائن الذي يتصوّر ويحسب ويضبط ، يقلت هو نفسه من التصوّر ويستعصني على الحساب والضبط وليس من السّهل أن يدرك العقل نفسه كما يعلمنا بآياه تاريخ الفلسفة " (6) .

وكذلك ليس بإمكاننا تكوين نظريّة بذاتها حول " الإنسان " من خارج أفق نظّرتة للأشياء ولنفسه ... مع أنّ ألفت النّظر لمثل هذه التّناولات في المعرفة بالإنسان لا تعتبر من مستحدثات العلوم ، فالرغبة في الإحاطة بالطّبيعة الإنسانيّة وما يطرأ عليها من المتغيّرات الثقافيّة التي تثير فينا ما نخفيه أو ما يغالبها الحرج في توضيحه للآخرين لأننا نخشى إستمرار الخطأ ، أو رقابة السّكّطة في مختلف مظاهرها . " نحن هنا إذن أمام حتمية إجتماعية صارمة وبعبارة أصح حتمية عمرانيّة " (7)

واضح من هذا أنّ التّأويل يمثل طريقا ملكيّاً لمعرفة معنى الوجود الإنساني كما الأمر في تأمل معاني النّص لأنّه من إبداعاته لكنّ المعرفة بالإنسان ونظّرتة إلى أشياء العالم أكسبته الإحساس بوهم التّعالّي ، وإخفاء ما هو حيواني دون تتبّع ومراقبة فهو يمثل سلطة المعرفة بنفسه والكون " هكذا منذ البداية أي منذ إنجاس ذلك الإمكان الذي نمثله نحن ، خامرنا إعتقاد بأننا نمتاز عن سائر الموجودات وبأننا كائنات عليا لها طبائعها الخاصّة وفردتها المميّزة " (8) ومما صوص الأصليّة فالإنسان7دعّم هذا الإحساس تلك الخطابات الدينيّة وهي غير الن

صورة تتجسد فيها كل مقاييس الإمتداد لما هو إلهي ، ومن الناحية السياسية تركّزت أغلب الخطابات حول إيهام الإنسان بسيادته المطلقة على الكون فتحوّكت بذلك كلّ فكرة إلى سلطة من خلال ممارسة الإنسان الجشع والقهر على نفسه ... كلّ هذه المظاهر قادت إلى زعزعتها إلى إلغائها تلك الإنجازات العلمية التي هيأت لرسم حدود وضعيتها لعلاقة الإنسان بالعالم وبنفسه ، هذا النموذج من الروابط لن يتواصل الإعتقاد في قيامه على إرادة خارج الدائرة الإنسانية كما صورتها إفتراضات الفلسفة القديمة . وهكذا فإنّ النظريات والبحوث التي تتناول مسألة الإنسان في زمننا قد تتجاوز القواعد المنطقية لأنّه لا يستقرّ عند حال ، إضافة إلى تخليص الإنسان من التّفاسير الأسطورية لأسباب وجوده .

لكنّ " علي حرب " يستطرد بشأن هذه الثّوابت العلمية في المجالات الإنسانية بإشارته إلى " أنّ المدنية الحديثة قد ركّزت على سيادة العقل ، غير أنّها تولّد الجنون والعبث وعملت على تخليص الفكر من سلطة الغيب والماورائي غير أنّها عيّدت من حيث لا تدري آلهة جديدة ... " (9) ومثل ، هذا التّعقيب على ما أنجزته مدنيّة الإنسان بإطلاق معيّن لا يتّصل بواقع ومفهوم الإنسان في الثقافة العربيّة الإسلامية لذك إنصرف العقل الغربيّ من داخل مساحاته المتجدّدة إلى مراجعة قيمة العقل خاصّة في ضوء الخرافة والأوهام التي كانت قد سادته لفترة طويلة ... لكنّ ثقافة الغرب أخرجت الإنسان من عالم التسليم الإعتقادي بما هو لاهوتي لتقوده إلى العقل أو " الصنم الجديد " بتعبير " نيتشة " وذلك من خلال تركيز العقلانية الغربيّة على إنجازات العقل وإزداراء أو انتقاد الأسس التّقليدية للثقافة الغربيّة ... هكذا ينظر " علي حرب " إلى أنّ هذا التصادم في الفكر الغربي المعاصر إلى إعادة الصياغة لأغلب المفاهيم والمقولات خاصّة ما يتعلق منها بردراك ما هو ممكن من الحقائق الدفينة في أقبية اللاوعي الإنساني ، " لأنّ استخدام العقل لم يحل بون الدمار والفرع والرعب " (10) بل إنّ البشرية شهدت أشدّ الفترات هولا زمن الإقرار بسيادة العقل ...

فكانت بذلك العودة إلى الإنسان ليست سوى تورية لحركة الهروب منه ، والمسألة لا تطرح في تصوّر " علي حرب " بالنسبة لحضور الإنسان في الثقافة العربيّة

والإسلامية . مثل هذا التباعد يؤكد ما ذهب إليه "ميشيل فوكو" من أنه يوجد في المجتمع الغربي " مبدأ آخر لعملية التبذ لا يقوم على مبدأ الحضر هذه المرة وإنما يعتمد على حظوظ القسمة والرقض ... " (11)

هكذا تتسع المسافة الفاصلة بين التصورات الفلسفية والمقاربات في العلوم الإنسانية المتداولة في الفكر الغربي . وبين ما يعرفه الإنسان عن نفسه بمقاييس الفكر العربي والإسلامي في ضوء ما عرضه الفلاسفة والمتكلمون ثم المتصوفة . فالحديث عن دراسة الذات البشرية لدى فلاسفة الغرب انتهى إلى تثبيت أهمية التأويل في المعرفة بأقصى ما يمكن من القيم الإنسانية المتداولة في الفكر الغربي والمقترنة بنظرة الفلاسفة لعلاقة الإنسان بمختلف محاور إهتمامه وذلك بإحياء أو بعث ما ساد الاعتقاد في تلاشي من أساطير وأوهام أدت إلى تراجع فكري شامل بدت آثاره في مستوى الوجود الاجتماعي وليس الطبيعي .

ولعل هذا ما يبرر انصراف الفكر الغربي إلى دراسة البعد النفسي وما يتضمنه من تصادم بين وعي الإنسان ولا وعيه . وكذلك المستوى الاجتماعي بما يرمز إليه من علامات الصراع بين فردية الإنسان وضرورة إخضاعه في نسيج العلاقات الاجتماعية . لكن " علي حرب " يواصل نقده ولا يقف عند مجرد عرضه لمنجزات مثل تلك العلوم التي نسبت إلى حقول الدراسات الإنسانية ، فالثقافة في نظره والعقل والوعي أمور تميز الإنسان ، غير أنه " لا ثقافة من دون محرمات أو مقدسات " (12)

هنا يجد " حرب " منفذا لتسريب رؤيته النقدية لما بلغته الثقافة الغربية من تأكيد على سيادة الإنسان المطلقة على الطبيعة أو بمجاز آخر سيادته على نفسه . على أن فلاسفة الغرب ومفكرهم قد سبقوا إلى إعادة قراءة الأسس التي قامت عليها رؤية الفكر الغربي للإنسان . ويطلق على مثل تلك المراجعات تسمية جنولوجيا المعرفة وقد اقترنت هذه التنازلات النقدية " بفوكو " الفرنسي رغم أنه لم يتفرد بمثل هذا التناول الحفري في استنطاق تاريخ العلوم في ثقافة المجتمعات الغربية إذ أكد " هيدغي " وفق فهم " حرب " لفلسفته على أن " المعرفة الحقّة هي معرفة تأويلية ، لة في اتجاه اللغة " أي معرفة تفترض المساء (13) بما لرموزها وبيانها من قيمة

في إثراء معارف الإنسان إنَّها تمثل قدرة بيد الإنسان يمكنه توظيفها ، فيما يتجاوز التَّواصل وهو دور ضروري للغة باعتبارها من ملكات الإنسان بواسطتها يدرك رموز خطابات أخرى يضطرُّ للتعامل معها ، وهو ما يعبر عنه بالتَّواصل الثقافي دون نفي الذاكرة الخاصَّة بكل نمط ثقافي إذ لا هويَّة دون الإعراف بمغايرة الآخر . وهكذا فإنَّ " الهوية لا تقوم دون الغيرية والذات لا تتحقَّق إلاَّ عبر الموضوع والفرد لا يتحدَّد إلاَّ من خلال متابعة تقنيات لعبة المعنى " (14) وتعددها فيما هو إنساني - إلى مجرد إنجاز تحديد الإنسان بجملة ملكاته لأنَّ محاولة ذلك ليست سوى مخالطات تعمق أوهامنا وتديم أخطاءنا فيما يتَّصل بتشكيل نظرة متناغمة الأبعاد حول حقيقة الإنسان بما تحتمله من ألعيب ، من الصَّعب كشفها دون تفكيك أبنية الخطاب ومعرفة الحدود الفاصلة بين طوابقه

الهوامش:

- (1) علي حرب : "صادق جلال العظم : إرادة المعرفة أو إرادة الماركسية مجلة الفكر العربي المعاصر العدد 82/83 نوفمبر ديسمبر 1991 ص (222)
- (2) علي حرب : التَّوَلُّد والحقيقة ط دار الحقيقة لبنان 1985 - ص (105)
- (3) أرنولد توينبي : " تاريخ البشرية " ترجمة فيقولا زيادة مطبعة الأهلية للنشر والتَّوزيع بيروت 1990 - الجزء (2) ص (40)
- (4) موريس بوكاي : " أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية ترجمة : فوزي شعبان المكتبة العلمية لبنان 1990 ص (205)
- (5) علي حرب : " مثلث الفلسفة : الوجود / الحقيقة / الذات " مجلة : العرب والفكر العالمي ربيع 1990 ص (221)
- (6) علي حرب : " مداخلات ط : دار المنهل لبنان 1991 ص (10)
- (7) محمد عابد الجابري : " العصبية والنَّوْلَة " دار الحقيقة للطباعة والنشر بيروت ط (3) 1982 ص (188)
- (8) علي حرب " لعبة المعنى " المركز الثقافي العربي بيروت 1992 ص (15)
- (9) علي حرب : " التَّوَلُّد والحقيقة " ص (167)
- (10) علي حرب : ن م ص (152)
- (11) ميشيل فوكو : " جنياولوجيا المعرفة " ص (7)
- (12) علي حرب : " التَّوَلُّد والحقيقة " ص (134)
- (13) علي حرب : " ن م ص (145)
- (14) علي حرب : ن م ص (105)



النقد الأدبي من عهد الجاهلية إلى العصر العباسي

بقلم : الأستاذ عبد المجيد بن عمر الطاهري

ن - ق - د - ينقد - نقداً ويتنقادا الدَّراهم ميَّزها ونظرها ليعرف جيدها من رديتها ونقد الكلام أظهر ما به من عيوب أو محاسن ، ونقد فلان لفلان الثَّمن أعطاه إيَّاه نقداً معجلاً .

والنقد له قواعده التي بها تقاس جودة الكلام أو رداءه أو حسنه أو قبحه .
وبالنَّقد تظهر مواطن الضَّعف ومواطن القوَّة في كلام الشَّاعر والنَّقد يفحص الأعمال الأدبية ويقيِّم الدَّرجات الفنِّية لكل إنتاج أدبي ولا يغفل عن العوامل المؤثرة فيه ، وليس النَّقد الذَّمُّ ولا للتَّحطيم بإصدار الأحكام الخاطئة والأخرى التي تخضع للامواء .

وللنَّقد معناه الاصطلاحي وفيه مباحث أدبية من ثمرات دراسة الآثار الأدبية ومراجعتها وإبراز مواطن الإبداع فيها ، كما لا يغفل الإشارة إلى مواطن الزَّلل والضعف فيها ، واتفق النَّقاد على مقاييس للنَّقد نستخلصها من أقوالهم الآتية :

1 - النَّقد : يقف عند الأدباء وما صاغوه من آثار فنِّية ليحلَّها ويقومها مفسراً مواطن الجمال والقبح فيها ومستكشفاً مواضع القوَّة والضعف .

2 - النَّقد : يحلُّ الظواهر والبواطن في الأعمال الأدبية ويتعرَّض لصاحبها والمؤثرات العامة فيها ويحكم على قيمتها ويحاول أن يقدرَ تقديرًا دقيقًا درجتها الفنِّية .

3 - النَّقد : فنٌّ لأنَّ النَّاقِدَ يقصد إلى الأداء الفنِّي الجميل .

4 - النَّقد : هو نوع من الفنِّ التَّعليمي .

وللنَّقد الأدبي أطواره ومراحله التي عايشها واجتازها وكلُّ مرحلة تتميز عن سابقتها بتدرُّج فنِّي ساعد على تقدُّم الأدب العربي وترقُّيته بفضل تطوُّر النَّقد

الأدبي بداية من عصر الجاهلية إلى عصر النُولة العباسية ثم أخذ أشكالا أخرى ومنحى آخر في عصور ما بعد العهد العباسي إلى اليوم خاضعا لمقاييس جديدة قنَّها النُقَّاد مسابقة لما يحدث في حياة الأمة من تغيير في العادات والتقاليد والأنواق .

مراحل النُقِّد

المرحلة الأولى للنقد الأدبي: (في العصر الجاهلي)

كان النقد في العهد الجاهلي شائعا بشكله البسيط يعتمد على نوق فطري ولا يخضع إلى قواعد وأصول مثلما كان عليه النُقِّد عند اليونان الذين وضعوا أصول النُقِّد وقواعده .

كان الشَّاعر العربي يلقي قصائده على مسامع جماهير قبيلته ليجد منهم حسن القبول والتشجيع فيواصل إنتاجه الأدبي ، وقد ينتقل من قبيلته ويذهب إلى الأسواق فينشد شعره ليزداد به شهرة ، وينتقل بين القبائل لنفس الغرض فيلقى الإعجاب . وكان أولُك من سلك هذا المسلك الأعشى (1) فقد كان يجوب الأحياء العربية ويتغنَّى بشعره على آلة موسيقية تسمى الصنَّج ويتأثر المستمعون إليه فيرددون شعره في حضرتهم وفي غيابة ، وإذا هم بالرحيل ألخوا عليه أن يبقى معهم أيَّاما أخرى ليتحفهم بأشعار أخرى ويقدمون له الهدايا والأموال ، غير أنه يوجد من بين المستمعين من يقارن شعر الأعشى بشعر الآخرين من شعراء قبيلته أو غيرهم ويحكم نوقه فيفضلُكهم عليه ، وفي ذلك نقد فطري قوامه الحسُّ المرهف وليس التعصُّب .

ومن الشُّعراء من يفحص إنتاجه فحوصا جيِّدا أو يراجع إنتاجه وينقده نقدا ذاتيا ولا يظهر قصيدته إلا بعد أن يتحقَّق من سلاستها وسبكها وجمال موسيقاها ، ويعدُّ زهير بن أبي سلمى أولُك مؤسَّس لهذا النوع من النُقِّد الذَّاتي الأدبي فقد كان يُخضع قصيدته للمراجعة والتتقيح حولا كاملا فتراه يتخير الألفاظ والمعاني ويودعها في أبيات ويتركها مدَّة ثم يرجع إليها فيصلح فيها وقد يحذف بيتا ويزيد أخرى وفي نهاية الحول يبرز قصيدته وينشدها للنَّاس ولذلك كانت تسمَّى قصائده بالحواليات .

ولكبار شعراء الجاهلية تلامذة رواة يروون عنهم شعرهم ويتعلَّمون عنهم نظم

الشعر وقد ظهر منهم فحول كبار فاقوا أساتذتهم وقد يصدر منهم نقد وجيه لشعر معلميه وهذا مثلاً : طرفة بن العبد استمع إلى المسيّ ابن علس ينشد إحدى قصائده وقد ألمّ فيها بوصف جملة على هذا النحو .

وقد اتناسى الهمّ عند أدكاره بنّاح عليه الصّيعرية مكذّم (2)
والصّيعرية سمة خاصّة بالنّوّق لا بالجمال تكون في أعناقهنّ ، فقال طرفة
« استنوّق الجمّل » وذهب ذلك مثلاً يضرب للرّجل الواهن الرّأي المخلّط في كلامه

وقد جرت مساجلة بين علقمة الفحل وامرئ القيس فأتشد كلّ واحد منهما قصيدته أمام زوجة امرئ القيس أمّ جندب وحكماها فيما سمعت ففضّلت شعر علقمة على شعر زوجها وقد أغضب ذلك فطلّقها وقيل أنّ علقمة خلف عليها قسمي حينئذ علقمة الفحل .

ومجمل القول في هذا التّحكيم هو أنّ أمّ جندب اختارت بيتين من القصيدتين وقارنت بينهما فوجدت أنّها مقتنعة بأنّ زوجها أجهد فرسه بسوطه في زجرها وقالت له إنّك مريته فاتعبته بساقلك حيث قلت :

فلسأق الهوب وللسّوط درّة وللزّجر منه وقع أخرج منعبر (3)

أمّا علقمة فادرك فرسه ثانيا من عنائه « فلم يضربه ولم يتعبه » إذ قال :

فادركهـنّ ثانيا من عنائه يمرّ كمرّ الرّائح المتحلّب (4)

وفي سوق عكاظ ينتصب النّابغة الذّبياني حكما بين الشعراء ومن يحكم له بجودة شعره يكون الأفضل وقد أجاز سبعة من فحول الشعراء وعلقت قصائدهم على أستار الكعبة واستحقّت حقّ تسميتها بالمعلقات ، ويعتمد النّابغة في أحكامه على النّوّق السّليم والحسّ الأدبي المجربّ وهو مشهود له بذلك فاذعن الشعراء لتفوّقه وامتنلوا لأحكامه ، ومن غير شكّ فإنّه في تفضيله لقصيدة على أخرى يجري مقارنة مصحوبة بنقاش مع صاحب القصيدة فيظهر له مواطن الضّعف والقوّة في القصيدة وهو النّقد بعينه . والنّابغة هذا على جلاله قدره عند الشعراء وكان وعند الملوك وكان النّديم الخاصّ للنّعمان بن المنذر ، وقد نظّم قصيدة من 35 بيتا شاع ذكرها ، وكان يقوّي في شعره (5) وصادف أن قدم المدينة فاغتنم

أهلها فرصة وجوده لينبّهوه إلى النشاز في بيتين من قصيدته تلك وقالوا لجارية
 رثتي قوله في الأبيات الواقعة في أول القصيدة وهو يسمعا فتغنت بها
 أمن آل مية رائع أو مفتد عجّلان ذا زاد وغير مزود (6)
 أقد الترحك غير أن ركاينا لمّا نزل برحالنا وكان قد (7)
 زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك خبرنا الغداف الأسود (8)
 قيل لمّا مدّت المغنّية صوتها بقافية البيتين أحسّ ما بهما من نشاز فأسرع إلى
 تغيير الروي المضموم فقال : « وبذلك خبرنا الغراب الأسود » وروي « وبذاك
 تنعاب الغراب الأسود » .

لقد انتقد النّابغة الذبياني ما جاء في قصيدة لحسان بن ثابت وقد أنشدها أمامه
 فقال له : « أنت يا حسان شاعر ولكنك أقللت جفانك وأسيافك وفخرت بمن ولدت
 ولم تفخر بمن ولدك » وذلك في قواك .

ولدنا بني العنقاء وابن محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابننا (9)
 - لنا الجفّات الغرّ يلعبن بالضّمى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما (10)
 وفي قصائد المدح والهجاء والقصر أبيات تطوي بواطنها على النّقد بإظهار
 مواطن الضّعف في شعر الخصم وإبراز القوة والجمال في شعر المفخر أو المادح .
 وقد يصدر بعض القدماء أحكاما ذات نقد نزيه ولكنّه من غير استناد إلى قاعدة
 واضحة وهذا كما روي أن يونس النّحوي سئل من أشعر الناس ؟ فأجاب لا
 أخصّص شاعرا بعينه ، ولكنّي أقول : امرؤ القيس إذا ركب ، والنّابغة إذا رهب ،
 وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب . ويروى عن سيّدنا عمر بن الخطّاب أنّه كان
 يعجب بزهير ابن أبي سلمى ويفضّله على كلّ الشعراء لأنّه لا يفالي في مديحه
 وإنّما يمدح الرّجل بما فيه (وكان إذا سمع بيتا فيه حكمة أو نزعة خلقية قويمة
 ردّه متعجبا منه ومستحسنا له) .

المرحلة الثانية للنقد الأدبي : (في بدء ظهور الإسلام ومهد الخلفاء الرّاشدين)
 لمّا نزل الوحي على النّبي صلّى الله عليه وسلّم وتتابع نزول القرآن عليه حاولت
 قريش التّقليل من أهميّته ولكنهم احتاروا في أسلوبه أهو شعر أم نثر ؟ واتّهموا
 النّبي صلّى الله عليه وسلّم بأنّه شاعر ويسترق القول كباقى الشعراء وردّ القرآن

عليهم قال تعالى « بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون » (11) .

ونزلت آيات أخرى تسفه أقوال قريش بوصفها للقرآن الكريم بأنه أضغاث أحلام وشعر وافتراء ، قال تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين » (12) كما اتهموه بالكهانة والجنون وبأنه شاعر كغيره من الشعراء فنفى الله تعالى عنه ذلك وحجته على مواصلة أداء رسالته وتذكير الناس بوجوب توحيدهم لله قال تعالى « فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ، أم يقولون شاعر نتريبص به رب المنون » (13) . والآيات التي تنفي الشاعرية والسحر والكهانة والجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة .

وكان الوليد بن المغيرة سيد من سادات قريش وأحد زعمائها يبدي نقدا نزيها للقرآن الكريم ثم يتراجع فيصفه بسحر يؤثر عن غيره ، لقد جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يفأوضه في شأن الدين الجديد الذي جاء به فأسمعه صلى الله عليه وسلم « إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » (14) فرق قلبه وعباد من فوره ، وعلمت قريش فاهمها ذلك وأسأها وطلبوا منه أن يقول شيئا فقال : « ماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني ولا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من ذلك » . والله إن لقوله لحلاوة وإن فيه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق ، ما يقول هذا بشر وإنه ليعلو ولا يعلى عليه : فقال أبو جهل : إذن لقد سحرك . والله لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه : قال الوليد : فدعني أفكر يا ابن أخي ، فلما فكر قال : هذا سحر يؤثر عن غيره ، فنزل في شأنه قوله تعالى « ذرني ومن خلقت وحيدا ، وجعلت له مالا ممدودا ، وبينين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع أن أزيد ، كلاً إنّه كان لآياتنا عنيدا ، سارقه صعبا ، إنّه فكر وقدر فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر فقال : إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر . » (15)

ومثل الوليد بن المغيرة قام بنفسه النور عتبة بن ربيعة وكان سيّدا مطاعا في

قريش فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وعرض عليه المال والجاه والملك مقابل تخليه عن دعوته والكف عن تسفيه أحلامهم وتقبيح آلهتهم فقال صلى الله عليه وسلم للوليد اسمع ما سألتوه عليك من كلام الله ، وقال « بسم الله الرحمن الرحيم » حم تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ، وقالوا قلوبنا في أكثمة مما تدعوننا إليه وفي أذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون ، قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالأخرة هم كافرون ، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون ، قل أنيكنم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين ، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إيتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ، فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ، فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » (16) .

(وقد أنصت عتبة بن ربيعة إلى تلاوة هذه الآيات وبيده خلف ظهره معتمدا عليهما إلى أن بلغ رسول الله عليه وسلم قوله تعالى « فأنذرتكم صاعقة عاد وثمود » فأمسك عتبة على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم أن يكف عن ذلك ولكن النبي صلى الله عليه وسلم استمر في القراءة إلى السجدة في السورة فسجد ثم قال لعبتة بن ربيعة : « لقد سمعت فأنت وذاك » ثم قام عتبة إلى أصحابه فلما رأوه مقبلا قال بعضهم لبعض « تحلف بالله جاعكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به » فلما جلس إليهم قالوا له : ما وراك ؟ قال ورائي : إني سمعت قولاً ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ، يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعته منه نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد الناس به .

فصاحت قريش: (سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم) .

وهنا يظهر إعجاز القرآن بنظمه وأسلوبه وجزالته التي لا يقدر أن يأتي بمثلها قائل ولا تدانيه بلاغة بليغ : وقد أقرّ فصحاء العرب بذلك واعترفوا بدقته وإشراقه ألفاظه وجودة سبكها وفصاحتها وهو ما جعل عتبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة يقرآن بأنّ ما سمعاه من النبيّ صلى الله عليه وسلّم ليس بشعر ولا بسحر ولا بكهانة ، وقد حصل لهما اليقين بذلك .

وفي الباب الذي تكلمت فيه عن المدح ومراحله في بحث آخر استعرضت نماذج من شعر الشعراء المعارضين للإسلام وفي المقابل شعر الشعراء المناصرين للإسلام ومن خلال هذه المعركة السياسية والدينية أخذت اللغة العربية نصيبها من حيث نقد الشعراء بعضهم لبعض .

ويوم أن جاء كعب بن زهير إلى النبيّ صلى الله عليه وسلّم ومدحه بقصيدته
« بانت سعاد » قال :

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٍ يَسْتَضَاءُ بِهِ مَهْنَدٌ مِنْ سَيُوفِ الْهِنْدِ مَسْلُورٍ
فأشار عليه رسول الله صلى الله عليه وسلّم أن يبدل كلمة الهند باسم (الله)
فيكون البيت هكذا :

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٍ يَسْتَضَاءُ بِهِ مَهْنَدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٍ
والقرآن الكريم لم يحرم قول الشعر وإنما استهجن أقوال الشعراء الذين لا يتقنون بالأخلاق الحميدة فيفحشون في شعرهم ويكثرون من الهجاء وهتك أعراض الناس بسوء القول : قال تعالى « والشعراء يتبعهم الغاؤون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون » (17) وفي هذه الآية توجيه حكيم للشعراء ليلتزموا بسداد القول :

وفي عهد الخلفاء الراشدين كان النقد ملتزماً لنفس الإتجاه الذي كان في عهد النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، وذهب الأدباء إلى أن النقد ضعف في صدر الإسلام لأنّه دخلت على الشعر أغراض أخرى شريفة أبطلت ما كان يخوض فيه الشعراء من أغراض يحرم الإسلام التصريح بها مثل الحث على الأخذ بالثأر والتشبيب

والفجور وإحياء الصِّراع القبلي وتحييد شرب الخمر إلى غير ذلك مما يتنافى مع الأخلاق الحميدة ، وأصبح الشُّعر رسالة جديدة تخدم المبادئ السَّامية للإسلام وتدعّم الأخلاق ، وتؤكد على الأخوة وتدعو إلى التَّراحم والتعاون على البرِّ والتَّقوى ، وعلى هذا الأساس كثر شعر الحكمة وتغيَّر اللَّون الشُّعري بتأثير الثقافة الإسلامية التي أثراها القرآن الكريم والحديث النبوي الشَّريف . « ومن آثار القرآن الكريم أنَّه جدَّد كثيرا من الألفاظ ، فنقلها إلى معانٍ إسلامية لم تكن تعرفها من قبل : مثل الصَّوم والصَّلَاة والحجَّ ، والزكاة ، والجهاد في سبيل الله ، والإيمان ، والكفر ، والركوع والسَّجود ، والهدى والغسل والوضوء والتَّيمم ، والشُّرك ، والفرقان والإسلام إلخ » (18) .

وفي عهد خلافة عمر بن الخطاب عاد النَّقد في أشكاله ومضامينه بتشجيع منه وحثٍّ على رواية الشُّعر. قال الأديب عبَّاس محمود العقَّاد في كتابه « عبقرية عمر » (ومن ناحية الأدب فيه وناحية الدِّين معا حثُّه على تعلُّم العربية « لأنَّها تثبَّت العقل وتزيد في المرومة » « وقد أوصى بوضع قواعد النَّحو لأنَّه قوام العربية » . وقال : « ولم يزل عمر الخليفة هو عمر الأديب طوال حياته ، لم ينكر من الشُّعر إلَّا ما ينكره المسؤول عن دين : ولم ينس قطُّ أنَّه الأديب الحافظ والرواية إلَّا حيث ينبغي أن ينسى ذلك ليذكر أنَّه القاضي المتحرِّز الأمين . فنهى عن التَّشبيب بالمحسنات كما نهى عن الهجاء ، وجيء له بالخطيئة متَّهما بهجاء الزُّبرقان بن بدر حيث قال فيه .

دع المكارم لا ترحل لبغييتها واقعد فإنَّك أنت الطَّاعم الكاسي
فنسي عمر أنَّه الأديب الرواية ولم يذكر إلَّا أنَّه القاضي الَّذي يدرأ الحدود بالشُّبهات ولا يحكم بما يعلم دون ما يعلمه أهل الصَّناعة ، وقال للزُّبرقان . ما أسمع هجاء ، ولكنَّها معاتبه . ثمَّ سأل حسان ابن ثابت فقضى بأنَّه هجاء وأفحش في هجائه ، فحبسه وأنذره ونهاه أن يعود إلى مثلها فانتهى طوال حياة عمر ، ثمَّ عاد إلى الهجاء بعد وفاته : وكذلك عاقب عثمان بن عفَّان في عهد خلافته الشَّاعر صائب بن الحارث البرجي لأنَّه أفحش في هجائه لبني جنول بن نهشل .
وعمر في عهده : سرَّه أن عاد العرب إلى رواية الشُّعر « كان الشُّعر علم قوم لم

يكن لهم علم أصح منه ، فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو فارس والروم ولهيت عن الشعر وروايته ، فلما كثر الإسلام وجاءت الففتوح واطمأنت العرب بالأمصار راجعوا رواية الشعر فلم يتلوا (19) إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، فالفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل فحفظوا أقله وذهب منه أكثره » .

وزيادة البحث في موضوع النقد في فجر الإسلام يطول وإنما اخترنا بعض الأمثلة للاستدلال على وجوده بين المدّ الجزر للأسباب التي تقدم ذكرها .
(3) المرحلة الثالثة للنقد الأدبي :

هذه المرحلة للنقد نعني بها التي عايشته عهد الدولة الأموية ، والنقد في عهد الأمويين يختلف عن المرحلتين السابقتين له ويمكن القول بأنه يمتاز عنهما بالتوسع والشمول ومظاهرة التجديد والابتكار لاتصال العرب بحضارات وثقافات أجنبية يونانية ورومانية وفارسية . ومع ذلك بقي النقد يعتمد على النوق والإحساس ولا يخضع لقواعد ومقاييس مضبوطة .

وكان النقد الأدبي في هذه المرحلة أصبح ضرورة ومعياراً تقوم الشعر بشكل مفاير للمعايير التي كان يوازن بها القدامى الشعر في الجاهلية وصدر الإسلام ، ومرجع ذلك يعود إلى المدّ الحضاري الذي طرأ على حياة العرب حيث استقروا في المدن (وأصبحوا مدنيين) وتأثروا بالحضارة الأجنبية بجوانبها الاجتماعية والمادية والفكرية وواكب هذا التطور الحضاري تطور في الشعر كأداة تعبير تصور هذا التقدّم ، وارتفع النوق ليميز بين ما تقبله النفوس والعقول وما ترفضه وتشمئز منه مع مساهمة محدثات العصر وكان قصب السبق في هذا التغيير من نصيب الحجازيين الذين ازدهرت حضارتهم وارتقت حياتهم الاجتماعية بفضل الثروة التي وفرتها لهم الفتوحات والأموال التي أفاضها عليهم بنو أمية ليكتسبوا رضاهم عليهم وليشغلهم عن طلب الخلافة .

ثم أمية شباب الحجاز أصبح مرهف الحس رقيق العواطف تحت تأثير النعيم والرفاهة وما صاحبه من الانغماس في اللهو بالموسيقى والطرب وكان للموالي دورهم الفعال في بعث النور والنوادي التي تعج بالمغنين والمغنيات مثل دار جميلة

في المدينة ، وفي هذا الجوّ المفعم بالسرّات والسّعادة قال شباب الحجاز شعرا وصفوا به حياتهم فتغنّوا بالجمال والحبّ وتغرّلوا بالنّساء وهجروا الأغراض الشّعريّة الأخرى مع مدح وهجاء وفخر ، ومنهم من أخرج النّساء المحصّنات بشعر غزلي غير عذري وعلى عكسهم نجد شعراء بادية الحجاز في ذلك العصر يتقيّون بالأخلاق في شعرهم الغزلي ويتعفّفون قدر طاقتهم ، وشاع شعر الغزل في القديم كما وازنوا بين قائله من حيث الالتزام والفصاحة والقدرة على الرّقاع .

وفي هذا المجال تمّ لقاء بين شعراء الحجاز وجرى بينهم نقاش ونقد بعضهم بعضا فقال كثير عزة وهو من شعراء البادية إلى عمر بن ربيعة >> أنت تصف المرأة وتشبّب بها ثم تتركها بنفسك >> وهذا في قولك :

قالت : تصدّي له ليعرفنا ثم اغمزيه يا أختي في خُفري
قالت لها : قد غمزته فأبى ثم استبطرن تشدّ في أثري
وقولها والدموع تسبقها لنفسين الطّواف في عُمر

فلو وصفت أهلك بهذا الشعر ألم تكن قد قبّحت وأساءت وقلت الهجر ؟
وجاء دور عمر بن ربيعة ليجيبه فيقول ويوافق على ذلك الأحوص ونصيب من شعراء المدينة (إن شعرك يا كثير عزة تمثّيت فيه لحبوبيتك ولنفسك المهلاك لتناكما معا فتجمعكما المصيبة . لقد تمثّيت المرض والمسخ والرقّ والطرد . وهل بهذا أحسنت للمرأة ؟)

لقد قلت :

الا ليتنا يا عرّ كنا لدى غنى بعيرين نرعى في الخلاء ونعزب
كلانا به عرّ فمن يرنا يقل (20) على حسنّها جرباء تُعدي وأجرب
وإذا ما وردنا متلهّا صاح أهله علينا فما ننفك نُرمى ونضرب
ونلاحظ هنا أنّ مسحة التمدّن والتحضّر بادية في الشعر الغزلي لعمر ابن أبي ربيعة ، وأنّ سمات البداوة وخشونة البدوي بارزة وواضحة في شعر كثير .

أمّا في العراق فإنّ الشعر تأثّر بالحياة الفكرية وتبعها لذلك كان حال النّقد الأدبي إذ بحكم إتصالهم بأهل الأديان الأخرى من نصارى ومجوس ويهود ومجادلتهم لهم تلاحّحت أفكارهم بعلوم وفلسفات لا عهد لهم بها (ومن ذلك نشوء قضيّة الجبر

والإختيار) وتكونت أحزاب سياسية اتخذت الدين وسيلة لتحقيق أهداف مناهضة للخلافة الأموية ومن بين تلك الأحزاب الشيعة والخوارج ، وانقسم الشعراء تبعاً لذلك إلى فريقين أحدهما يمجّد آل البيت ويقول بأحقّيتهم في الخلافة والآخر يفضل الأمويين ويدّعي أوليتهم بها ، ونشبت معركة أدبية بلغت أوجها وغذاها الولاة والخلفاء واشتدتّ الخصومة بين جرير والفرزدق بالخصوص وقد تفاخرا أمام الوالي بشر بن مروان .

المبرد في البصرة :

هي شبيهة بسوقي عكاظ وذئ المجنة وفيها قامت حركة أدبية ذات شأن وانتظمت مساجلات بين الشعراء صدرت على إثرها أحكام نقدية وأطلقوا على هذه المناظرات اسم « النّقائص » وينقد الشعراء بعضهم بعضاً فيظهرون محاسن الشاعر على المنافس له وهذا مثل ما أجاب به جرير عن سؤال وجهوه له يتعلّق بالحكم على قيمة شاعرية الأخطل فقال « هو يجيد مدح الملوك » .

وحكم الأخطل على جرير فقال « يغرف من بحر » وحكم على الفرزدق فقال : « إنّه ينحت من صخر » .

وتصدر أحكام نقدية أخرى من العامة فيقولون « الفرزدق أشعر عند الخاصة وجرير أشعر عند العامة » .

وفي السّام كان الشعراء يأتون إلى دار الخلافة في دمشق ، ويتقدّمون للخليفة بقصائد يمدحونه بها ليجازيهم عليها ، ويفتح الخليفة في وجوههم أبواب قصره ليدفع عجلة الثقافة وبذلك يرتقي الأدب العربي وينمو ويزدهر . واشتهر الخليفة عبد الملك بن مروان بمناقشته للشعراء وتوجّههم إلى ابتكار طرق أخرى تغيير بنية القصيد تريحهم من تقليدهم للشعراء القدامى من ذلك أنّ أحد الشعراء أنشد أمامه قصيدة مدحه بها فأسهب في وصف ناقته فقال له : « ما مدحت إلا ناقتك فخذ منها الثّواب ويروي أنّ جريراً قال من قصيد يهجو بها الأخطل :

هذا ابن عسي في دمشق خليفة لو شئت ساقمك إليّ قطينا
فقال عبد الملك ما زاد جرير على أن جعلني شرطياً له أمّا إنّه لو قال لو شاء
ساقمك إليّ قطينا (21) لسقتهم إليه » كما قال .

وانتقد الشاعر ابن قيس الرقيات في قوله من قصيدة مدحه بها :

إِنَّ الْأَعْرَ الَّذِي أَبُو ال عاصي عليه الوقارُ والحُجُبُ
يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهبُ

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأنني من العجم وتقول في مصعب بن الزبير .

إنما مصعب شهاب من الله تجلّت عن وجهه الظلّماء

ملكه ملك عزّة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

المرحلة الرابعة للنقد الأدبي :

وتتصل بالعصر العباسي الذي ازدهرت أثناءه الحياة الأدبية وأخذ فيه النقد الأدبي حظّه من التطور حيث وضع النقاد له القواعد والأصول . وفيه بحث مطوّل نختصره فيما يلي .

يحكي تاريخ الادب العربي عن النهضة الأدبية الرائعة التي انبعثت في عهد الدولة العباسية وقد أشاد المؤرخون بما وصلت إليه الحضارات الإسلامية من رقي وتقدم في جميع مجالات الحياة الإنسانية ، وهذا التقدم لابد أن يكون الأدب قد مهد له ونهض به ، ولم يحصل هذا عقوا أو اعتباطا وإنما استلّوى على سوقه بامتزاج ثقافات أخرى أجنبية كال يونانية والهندية والفارسية ، وتبعاً لذلك ارتفع شأن النقد الأدبي وسلط أضواءه الفاحصة على إنتاج الكتاب والشعراء .

ومن خلال نظرة عامة إلى الشعر في العصر العباسي نجده قد برز في ثوب جديد تعددت تزويقاته ، ولم يبق كوسيلة تعبير مقتصر على أغراض معينة كالهجاء والمدح والفخر والوصف بل سخّره الشعراء ليعبروا به عن أغراض جديدة ابتدعوها كالخوض في الفلسفة والسياسة ، ووصف مغريات المدنية . وجاءت حركة الترجمة الواسعة لكتب العلوم كالمنطق والطب والموسيقى والكيمياء إلخ . فاستفاد منها العرب وخاصة ما ترجم عن اليونانية ، فقد مكّنه من الاطلاع على كتاب أرسطو « في الشعر » وحاولوا تطبيق نظريته ومقولاته على الشعر بعد ذلك (22)

إلا أن بعض النقاد المحدثون يرون أن هذه المرحلة بقدر ما أفادت الشعر العربي حيث خلّصته من اللحن وأبعده عن الإسفاف وأسقطت الضعيف منه إلخ . فإنّه من

منظور آخر قد أضرت به إذ وضعت على الشعر قيوداً حديدية وعقلت السنة الشعراء وأخيلتهم فصاروا رهن القوالب التي وضعها النقاد مما استمنوه من الشعر القديم وأوقفوا بذلك تطور الشعر بأن وضعوه في إطار من القديم .

ولم يقتصر النقد على الشعر فحسب بل شمل النثر الذي كان التطور فيه أكثر إتساعاً إذ ترجمت القصص الأجنبية والرسائل السياسية ونقلت نظريات في علم الاجتماع والأخلاق ونظم الحكم .

ولقد إهتمَّ النقاد في العصر العباسي بزمرة من الشعراء الأفاذا وأصدروا أحكاماً اعتمدوا فيها قواعد النقد الحديث فقالوا عن بشار بن برد الفارسي الأصل إنَّه يحمل راية المجددين في الشعر العربي بأفكاره وذوقه الأدبي الممتاز وكان ينظم شعره من غير تقيد بالأخلاق كتصويره لحياته الماجنة وإكثاره من ذكر المللذات من غير حياء ولا خشية من العقاب ، وكان يتغزل بالنساء ويتشبه بهنَّ من غير تعفُّف ولا تكلف .

ولبشار بن برد حصافة فكر واجه بها النقاد وروي أنَّ أحد الشعراء وجَّه نقده لبشار فعب عليه قوله :

وإذا قلت لها جودي لنسا خرجت بالصمت من لا ونعم

فقال له : (لماذا قلت خرجت بالصمت ولم تقل خرس بالصوت) .

فأجاب بشار : إذا أنا في عقلك ، فضَّ الله فوك ، أأطير على من أحبَّ بالخرس ؟ ويحكى عن بشار أنَّه تضايق من تفوق أحد تلاميذه عليه في نظم بيت شعر ولَّده عن بيت قاله هو . ومن أجل ذلك كان محلَّ نقد لاذع من حيث لا يدري :

قال تلميذه مسلم الخاسر :

من راقب النَّاس مات غمًا وفان باللذة الجسود

فغضب بشار عليه وأطرده وقال له كيف تأخذ معانيَّ التي عُنيْتُ بها وتعبت في استباطها فتكسوها ألفاظاً أخفَّ من ألفاظي حتَّى يردَّ النَّاس ما قلَّته أنت ويذهب شعري ؟

والذي قاله بشار هو :

مَنْ راقب النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكَةِ اللَّهُجْ

وفعلًا فإنَّ الَّذِي بقي يردُّه النَّاسُ هو بيت مسلم الخاسر وذهب صدى بيت بشار .
وقد أطلق النقاد اسم المولدين على الشعراء الموالي وسمَّوهم بذلك لحدوثهم وهم
بشار بن برد وأبان بن عبد الحميد وأبو العتاهية وأبو دلامة علي بن الجهم
والعسكوك وعبَّاس بن الأحنف وأبو نوَّاس وحمَّاد عجرد ومطيع بن إياس وحسين
ابن الضحَّاك ومسلم بن الوليد ومروان ابن أبي حفصة ووالبة بن الحباب ودعبل
الخرَاعي . هؤلاء ذكرهم الأستاذ أحمد حسن الزيات في كتابه « تاريخ الأدب
العربي » ص 263 فقال عنهم « إنَّهم من الموالي الَّذِينَ أطاعوا العرب كرها
واعتنقوا الاسلام رياء ، وهاجموا الأخلاق بالخلاعة والمجون ، وأذاعوا في النَّاس
الزندقة والشكَّ ولكنهم أذاعوا كذلك الآثار الحرَّة والمعاني المبكرة والأخيلة البديعة ،
والأوصاف الدَّقيقة ، والمذاهب الجديدة ، والعقريات الماثورة .

ولم يسلم هؤلاء الشعراء من مؤاخذه النقاد لهم عن بعض الهفوات وما وقعوا فيه
من إسفاف فنجد أبا العتاهية يأتي أحيانًا بشعر ضعيف وهذا مثلاً كقوله بالذي
أنحف به جارية له أدخل السرور على قلبها وصارت تتغنَّى به .

ربابة ربة البيت تصبُّ الخيل في الزيت لها عشر دجاجيات وديك حسنين الصوت

ونقد الأصمعي شعر أبي العتاهية بقوله « شعر أبي العتاهية كساحة الملوك يقع
فيها الجواهر والذهب والتراب والخزف والنوى » .

أمَّا أبو نواس فقد أتى (بالجديد من المعاني والألفاظ) قال أبو عبيدة عنه :
« أبو نواس في المحدثين مثل امرئ القيس في المتقدمين ، فتح لهم هذه الفطن ،
ودلَّهم على المعاني ، وأرشدهم إلى طريق الأدب والتصرف في فنونه » .
ويقطع النظر عن شعره الماجن فقد أحدث في شعره ما تورَّع عنه بقية الشعراء
وهو التشبُّب بالغلمان ، وما يعرف عنه بالخمريات ، وقد تحامل على كلِّ ما هو قديم
وسخر بالقدامى لافتتاحهم قصائدهم بالبكاء على الأطلال وبالنسيب فما هو يقول :

قل لمن يبكي على رسم درس واقفا ما ضرَّ لو كان جلس ؟
تصف الرِّيع ومن كان به مثل سلمى وابيني وخنن
اترك الرِّيع وسلمى جانباً واصطبج كرخية مثل القبس

وقد تعاقبت أجيال من الشعراء في العهد العباسي منهم من خلد ذكره بشعره ومنهم من تنوسي نظمه لتفاهته وضعفه . فكان أبو تمام في القرن الثالث الهجري (أ) السباق إلى العناية بالمحسنات اللفظية مع الإهتمام بالمعنى وكان يتعمق كثيرا وقد غلب على شعره الغموض لدقته حتى أن بعض النقاد سأل « لماذا لا تقول من الشعر ما يفهم ؟ فأجاب قائلا : وأنت لماذا لا تفهم ما يقال ؟ » . وذهب ابن المعتز في كتابه (البديع) إلى أن الإستعارة والجناس والمطابقة هي محسنات أحدثها الشعراء العرب في شعرهم وليس للمولدين فيها فضل .

وكانت طائفة أخرى من علماء اللغة يحرصون على سلامة اللغة من التحريف ، فكانوا بما تشبّعوا به من قواعد النحو والصرف والعروض والبلاغة يلاحقون الشعراء فيأخذون من شعرهم ما سلم من اللحن وطوّعوا لتطبيق القواعد عليه وهو ما يسمى بالشواهد النحوية أو الصرفية أو البلاغية ، وإذا وجدوا بعض المخالفات النحوية أو البلاغية أو الصرفية فإنهم لا يترددون في مراجعتها مع قائلها وتصويبها ، وقد بدأ منذ العهد الأموي (فقد كان بين أبي اسحاق الحضرمي اللغوي وبين الفرزدق مناقشات ومراجعات ، فقد كان ابن أبي اسحاق يكثر من مراجعة الفرزدق ومن نقده المادة شعره » وكان الفرزدق يستمع لقوله فيصلح لفظه إذا استطاع إصلاحه ، وأحيانا كان يثور عليه ويهجو ، وظل هذا العمل دأب اللغويين بعد ابن اسحاق ، فهم يتعرضون لمعاصريهم من الشعراء ، ويتتبعون عيوبهم اللغوية والنحوية ، ويطعنون عليهم كلما وجدوا عيبا في شعرهم » (ب)

ومثال آخر لما ذكرناه - ملازمة النحوي ابن جني - لأبي الطيب المتنبي ومراجعته له في معاني أبياته الشعرية .

ونأتي إلى عصر المتنبي الموسوم بالتغيرات والأحداث والمليء بالمذاهب ، والفرق في الإضطرابات وفي الحروب إلى أن آل النولة العربية إلى التشرذم والتمزق ، وانتصب أمراء وملوك في مقاطعات استقلوا فيها بالسلطان ، ومن أبرزها منطقة حلب التي اشتهر فيها ملك بني حمدان وبها بلاط سيف النولة الذي يعج بالشعراء والعلماء وقد انضم إليهم أبو الطيب المتنبي فوجد حظوة وعناية خاصة خصه بهما سيف النولة . وقابل الشاعر جميل الأمير بما هو جدير به فمدحه بأروع القصائد ،

وكان هذا المدوح يمتاز بذوق وله دراية فائقة بفنون الشعر وبأسرار اللغة العربية وله آراء في النقد الأدبي نستشفها من هذه المناقشة التي وقعت بينه وبين المتنبي عندما أنشده قصيد الحدث سنة 343 هـ فقد استوقفه وانتقد تطبيق عجز البيتين الآتيين على صدريهما . قال المتنبي :

وقفت وما في الموت شكّ لواقف كائنك في جفن الردى وهو نائم
تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضّاح وثغرك باسم
فقال سيف النولة الصواب لو قلت :

وقفت في الموت شكّ لواقف ووجهك وضّاح وثغرك باسم
تمرّ بك الأبطال كلمى هزيمة كائنك في جفن الردى وهونائم
فأجاب المتنبي قائلاً إنّ مولانا يعرف أنّ الثّواب لا يعرفه البرّاز معرفة الحائك له :
لأنّ البرّاز يعرف جملة : والحائك يعرف جملة وتفصيله باعتبار أنّه صنعه وغزله
فصار ثوباً . وقال : إنّى لما ذكرت الموت ، في أوّل البيت أتبعته بذكر الردى ليجانسه
ووصفت حالة العدو المنهزم في المعركة بالانكسار والجروح والكولم قابلته بوضعك
الريح وانشراك بالنص فقلت « ووجهك وضّاح وثغرك باسم » فجمعت في المعنى
بين الأضداد : فأكبر سيف النولة ذكاء المتنبي وقدرته على التّصرف في اللغة
وأجزل له العطاء .

وقيل أنّ سيف النولة قارن قول المتنبي في البيتين الاتفي الذكر بقول امرئ القيس
كأنني لم أركب جواداً للذة ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال
ولم أسبأ الرّزق الروي ولم أقل لخيلى كرى كربة بعد إجمالي
وكان المتنبي مرمى لسهام النّقاد غير النّزهاء لأسباب منها الحسد : ومنهم من
سخر قلمه ليحارب به هذا الشّاعر الكبير خدمة لسيد أغراه أو استأجره لينال من
قيمة المتنبي هذا العنود الذي أبى أن يمدح الحكّام الأعاجم والكبراء الذين لا يقرّ
لهم بفضل . ولكنّه وجد من يناصره ويضعه في القمّة ويفضّله على كلّ الشعراء ،
كالمعري وكابن جنّى وغيرهما من الأدباء والنّقاد الكبار . (23)

الهوامش :

(أ) أبو تمام : ولد في جاسم بأحد أقاليم الشام سنة 788 .

(ب) المرجع : النقد لجموعة من أدباء الأقطار العربية (دار المعارف)

(1) الأعشى : هو لقب للشاعر ميمون بن قيس بن جندل من قبيلة بكر بن وائل ولقب بالأعشى لضعف بصره وعرف بالأعشى الأكبر تمييزاً له عن شعراء يحملون لقب الأعشى وعددهم إثنان وعشرون ولقبوه أيضاً بصنهاجة العرب كما لقبوه بأبي بصير تعظيماً له وتلطفاً معه وإعجاباً بقوة بصيرته .

مدح النعمان بن المنذر وناداه ومدح غيره من ملوك العرب والفرس ، وكان يجوب الجزيرة العربية من أقصاها إلى أدناها ووصل به المطاف إلى العراق فمحس ثم فلسطين ثم بلاد الحبشة ، ولقد اكتسبته الأسفار والرحلات ثقافة وخبرة وتعلم لغة الفرس فأنشأت أفاق تفكيره وقد ساعده ذلك على صياغة قصائد عصماء ، ووصف النقاد شعره بالسهولة في الأداء القوي والمتانة في السبك ، ويقال أن الخليفة الناقد عبد الملك بن مروان وصف شعر الأعشى بقوله « ما أعذب بحره وأصلب صخره »

وقصيدته « ودع هريرة » درة وجوهرة ثمينة أجمع الأدباء على اعتبارها من أنفاس أشعار الجاهلية وجعلوها من بين القصائد العشر الممتازة التي منها المعلقة السبع ومطاعها :

ودع هريرة إن الركب مرتجل وهل تطيع وداعاً أيها الرجل .

(2) الناجي : هو البعير الذي يسرع في سيره والمكدم : من الكدمة وهي الوسم .

(3) الهوب : يجهد نفسه في الجري ، والأخرج : ثكن النعام وهو الظليم .

(4) الرائع : سحاب العشي ، المتحلب : المتساقط .

(5) يقوي في شعره : من الأقواء وهو المخالفة بين حركات الروي في القصيدة .

(6) الزاد : يقصد الثأفة بالزاد ، التزود بالتوديع والتسليم .

(7) أفد الترحك غير أن ركابنا لما نزل برحالنا وكان قد

هذا البيت استشهد به النحويون في باب علامات الاسم التي من بينها التثوين والتثوين المقصود هنا هو تثوين التثنية ، وهو الذي يلحق القوافي المطلقة بحرف طة ، (والقافية المطلقة هي التي تحركت وامتد بها الصوت بسبب حرف طة يقع في آخرها ، والمقيدة التي قيدت بالسكون) .

روى النحاة بيت الثأفة هكذا :

أزف الترحك غير أن ركابنا لما نزل برحالنا وكان قدن

والبيت من (بحر الكامل) . وأجراؤه (متغالط) ست مرآت قاله من قصيدة في المتجردة زوجة النعمان بن المنذر ملك الحيرة .

« وأزف من باب تعب : دنا وقرب - والترحك السفر - وتزل تنتقل وأصلها تزل مضارع زال - والرجال بكسر الراء جمع رجل وأصله مسكن الشخص في الحضر والمقصود به هنا الخيام ثم أطلق على أمتعة المسافرين - وكان قدن : أي وكأنها قد زالت والمعنى دنا وقت الرحيل غير أن إبلنا لم تتحرك بامتعتنا أو لم تغادر مساكننا مع عزمنا على السفر ، وكأنها لتصميمنا على الانتقال ، قد انتقلت وارتحلت بالفعل »

- « والشاهد في هذا البيت : هو دخول تنوين التثنية في الحرف وهو قد لأن أصله قدي » .
 وفيه شاهد آخر ، وهو جواز حذف الفعل الواقع بعد قد فيكون تقدير الكلام هكذا « وكان قد زالت
 (8) البوارح : بطيور كان الناس في الجاهلية يتطيرون بها مثل تطيرهم من الغراب .
 (9) العنقاء : هو ثعلبة الجد البعيد للأوس والخزرج ، ويريد بالمرحوق هنا الحارث بن جبلة ملك
 الغساسنة المشهور في الجاهلية .
 (10) الجفقات : ج جفنة وهي القصاع مملوءة شحما ولحما وقال يلمعن في الضحى لأن الشحم
 من شدة بياضه يلمع تحت ضوء الشمس .
 (11) الآية عدد 5 من سورة الأنبياء .
 (12) الآية عدد 39 من سورة يس .
 (13) الأيتان عدد 22 - 30 من سورة الطور .
 (14) الآية عدد 90 من سورة النحل .
 (15) الآيات من 12 إلى 25 من سورة المدثر .
 (16) الآيات من عدد 1 إلى 13 من سورة فصلت .
 (17) الآيات 224 - 225 - 226 من سورة الشعراء .
 (18) المرجع كتاب أدب العرب في صدر الإسلام ص 66 للدكتور حسين الحاج حسن .
 (19) لم يثقا أي لم يلجا وا .
 (20) العر : هو الجرب تصاب به الإبل فيعالجونها بالقطران .
 (21) القطين : هم الحشم والخدم والعبيد .
 (22) ترجم مثنى بن يونس كتاب الشعر وكتاب الخطابة لأرسططاليس وتوفي سنة 328 هـ وقد
 خلف مادة في النقد جديدة مجهولة عند الأدباء . ثم في بداية القرن الخامس للهجرة ظهر قدامة
 بن جعفر المتوفى سنة 437 هـ وهو كتاب بغدادى مسيحي أسلم على يد الخليفة المكتفي بالله
 سنة 907 م وكانت له دراية بعلم المنطق وبالفلسفة : وألف كتاب الخراج في المملكة والأقاليم
 والبريد والضرائب وكان مولعا بالأدب فتعلقت همته بوضع كتاب في النقد سماه (نقد الشعر)
 واستمد قواعد النقد من كتاب أرسططاليس المتقدم ذكره .
 وحاول أن يخضع الشعر العربي للعقل الفلسفي اليوناني ويشق له قواعد وأصولا مضبوطة فكان
 قدامة أول من وضع أسس قواعد النقد التي تعتمد في التمييز بين الجيد والرديئ من الشعر
 العربي بعقل متشبع بعلم المنطق وبالفلسفة .
 (23) قيل أن المعري حضر درسا للشريف الرضي فسمعه يذكر المتنبي بسوء فقال له : كفى
 المتنبي فقط أن ينظم قصيدته التي مطلعها : لك يا منازل في القلوب منازل
 ففهم الشريف الرضي ما يقصده المعري فهو يرمز إلى قول المتنبي :
 قول المتنبي : إذا أتيتك :
 فأمير الشريف الرضي بطرد المعري فجره جراً على الأرض وأخرجوه .

رسالة المعاش والمعاد

[الجاحظ]

إعداد : عادل عبد القوي

كتب الجاحظ هذه الرسالة زمن خلافة المتوكل . وأرسلها إلى قاضي القضاة محمد بن أحمد بن أبي نؤاد الذي ولي القضاء ببغداد بعد والده أحمد بين سنتي 233 و 237 هـ .

وهذه الرسالة ليست الوحيدة في القاضي فله رسائل أخرى في الأخلاق والكلام والسياسة .

تتكون رسالة المعاش والمعاد من مقدمة وموضوع وخاتمة وتطور حول تهذيب السلوك وتأديب النفس وتقرير ابن أبي نؤاد ونصحه . لذلك يبدأ الجاحظ بالحديث عن وظيفة الحكماء والحاجة إليهم . فالسلطان يحتاج إليهم لأنهم يستشفون بعقولهم ما تجيء به العواقب ويحسنون ارتياد موضع البغية . فهذه المقدمة بأسلوبها المنطقي الجدلي تشكل مدخلا لتصوير الممارسة الاخلاقية والسلوكية التي ينبغي على القاضي الالتزام بقواعدها .

القاضي كما قدمه النص الجاحظي إنسان نموذج . كامل لم يفرق في سكر الشباب ولم تأخذه حمياً الحداثة . بل فاق في سياسة نفسه كل لذاته بالعقل الذي به مطبوع . فهذا الإنسان القاضي لا يمكن إلا أن يكون أوحدياً غلب العقل على الهوى » فأخرجه سليم الدين وأفر المرومة نقي العرض كثير الثراء بين الجدة .

وجملة هذه الخصال المحمودة تترجم عن مفهوم التوسط في السلوك والاعتدال في الحياة بين العقل والنفس . فهو مجبول على حب الفضيلة . له استعداد ما قبلي لحب الخالق فلا يرى هذا القاضي إلا حيث يريد الله .

فالكمال البشري يكون بالعقل أولاً وبالشرع ثانياً . ويرتفع المرء إلى درجات

« الإنسان المثالي » عليه أيضا أن يضيف إلى أدب النفس ، أدب الدرس ولهذا كانت رسالة المعاش والمعاد .

ويعقد الجاحظ - بعد ذلك - علاقة بين شكره لأبي نؤاد وشكره لله ف « من لم يشكر للناس لم يشكر لله » ويعترف بمواهبه ونعمه عليه . والحديث قائم على صنعة فنية تخاطب في القاضي العقل والوجدان ويتوسل فيه بالعقل والنقل من أجل الإحتجاج على نفسه بواجب الشكر والاعتراف بتقصي خلقه الموجود فيه بالقطرة لا بالتكلف .

وبعد هذا « الأدب » في مخاطبة القاضي ، يذكر الجاحظ سبب وضع الرسالة بقوله « فرأيت أن أجمع لك كتابا من الأدب ، جامعا لعام كثير من المعاد والمعاش . أصف لك فيه علل الأشياء وأخبرك بأسبابها وما أتفقت إليه محاسن الأمم » 1 نستنتج من كلام الجاحظ أن الأديب العربي يصدر عن ثقافة يعتبرها « ثقافة المركز » بالمقابل مع « ثقافة المحيط » من هذا الموقف الضمني يحاول الجاحظ انطلاقا من جدلية المعاش والمعاد ، بناء مجتمع جديد وكان عليه تأصيل هذا الفكر السلوكي الحداثي في عصره من خلال تعليم الآخر القاضي وإقناع « ثقافات الأفاق » وكان عليه إذن أن يقتنع من هو بداخل المركز حتى يجهل هذا التكافؤ بين المثقف ورجل السلطة فكان الرسالة إذن مساهمة للقاضي أو للقارئ : كيف ينظر إلى وجوده وعلاقاته مع نفسه ومع الناس ومع الله ؟ كيف يوفق بين المعاش والمعاد ؟

ولقد حاول الجاحظ - وهو يحاول إقناع القاضي - أن يبحث عن هذا التمهيد بين الدنيا والآخرة . بين العقل الهولاني والعقل المكتسب . وبين التنزيل والاختيار . إن المبدأ الأول الذي حدده الجاحظ هو أن من لا عقل له ، لا دين له ولا دنيا . ومن لا عقل له ضيع معاشه وهو لمعاده أضيع . « وقد أجمعت الحكماء أن العقل المطبوع والكرم الغريزي لا يبلغان غاية الكمال إلا بمعاونة العقل المكتسب .. وذلك أن العقل الغريزي آلة والمكتسب مادة . وإنما الأدب عقل غيرك تزيد في عقلك » 2 . وإذا يعالج الجاحظ هذه الجدلية معالجة فيلسوف أخلاق ، فإنه يستدل على أدب القاضي بما ركب فيه من معرفة بالعلل وسبل استقبال الأمور ، ومباشرة الأسباب . وتبين الأصول من الفروع . والانصراف إلى الطباع المحمودة والبعد عن الأخلاق

ويكف الجاحظ اللغة العربية قوة الإبلاغ ويحملها على « التفكير المنطقي والرياضي » فتنقاد له . وتتواتر في الرسالة قضايا معرفية وكلامية وفلسفية وفقهية فيذكر الأدلة والبرهان والمعرفة والعلل والأسباب والجوهر والعرض . والأصول والفروع والطبيعة والإكتساب . والحدود والشبهات وغيرها كثير من المعاني الفلسفية أو الكلامية .

ولما كانت الرسالة سياسية ، دينية فإن القارئ عليه أن يتسلح بنظرة فاحصة لما جاء فيها حتى يدرك الحكمة ويعمل بها . فكان القاضي إنسان قبل كل شيء وشرط الإنسان أن يحسن سياسة نفسه .

ولقد صور أفلاطون موقف الكائن البشري بطريقة فلسفية طريفة وهي عبارة عن رجل يقود عربة يجرها حصانان . ويبيده الأجام يمنع به جماهما فالأجام هو العقل والحصان الأول ، هو القوة الشهوانية والحصان الثاني ، هو القوة الغضبية وللوصول إلى درجة الكمال البشري ينبغي السيطرة على هاتين القوتين (على نحو ما فعل القاضي ...)

وكذلك فعل ابن طيقل في قصة حي بن يقظان الذي نزل بجزيرة فاعترضته جماعة . فابن يقظان : رمز للعقل ، والجماعة : رمز للشهوات والنوافع الانفعالية داخل الطبيعة الإنسانية . والحوار الذي جرى في القصة بين الشيخ والجماعة هو حوار بين العقل والنفس .

ففي سلوك القاضي جوهر روحاني (عقل فعال) يتبع به الأوامر . ويتجنب به النواهي . والقاضي ابن أبي دؤار يحضر كإنسان وكأن الإنسان كادح إلى الكمال كدحا بالقوة الكامنة فيه ويصبح السلوك الدنيوي في تصور الجاحظ قائما على شيء من الحتمية الطبيعية . ولا بد للكامن من ظهور . كما لا بد للطبيعة من حركة وإن أبطأت .

لقد حاول المفكر العربي محمد عابد الجابري في دراسته للمنهج البياني تفكيك النظام المعرفي العربي الاسلامي القائم على تمثّل للعالم كما يظهر في القرآن بناء على علاقة بين الله والإنسان والطبيعة . ولقد جعل البيّنون لهذه الرؤية « أبعادا

ميتافيزيقية خاصة حينما راحوا يدافعون عنها بالعقل» وإذا كان لا بد للإنسان من تنظيم للعالم من أجل « الإقامة فيه » فإن أية صورة يبنيها الإنسان لنفسه عن العالم هي تأكيد لذاته في العالم .» (والقوله ل : ح . قسديورف) وهذا هو في الحقيقة منطق الرسالة الداخلي .

والجهاز النظري الجاحظي قائم على التوافق والتكامل بين آداب الدين وآداب الدنيا « فما فسدت فيه المعاملة في معاملات الدنيا لم يصح في الدين ... ولولا ذلك ما قامت مملكة ، ولا ثبتت دولة ، ولا استقامت سياسة . » وأعلى الأديب أن يبدأ بتعليم نفسه وسياستها « فأول ما أوصيك به ونفسي تقوى الله . » 3

ويترجم هذا الخطاب عن رؤية سلوكية لا تخرج عن إطار المقدس ولا تخترق فيه دائرة الأمفكر فيه دينياً . فلقد مكّن الله القاضي في الأرض / الدنيا . ويقدر ما وهبه من النعمة يستأنيه الشكر . والقاضي مكلف بسياسة نفسه وسياسة الرعية وإن كان يصعب التوفيق بينهما .

ويرى الجاحظ أن الإنسان مطبوع على استجلاب المنفعة ودرء المضرّة وهذا في الناس كلهم « طبع مركب وجيلة مفطورة » 4 والإنسان العاقل لا يقصي النفس والملاذات الحسية فهذه خلال غرائز في الفطر وكوامن في الطبع ، جبلة ثابتة ، وشيمة مخلوقة « بل عليه أن لا يأتي ما يكرهه العقل ويرفضه الدين ولا يكون ذلك إلا بالتأديب وآلة التأديب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا تكون الطاعة إلا بالترهيب والترغيب لأن النفس البشرية « في طبعها حب الراحة والدعة . » 5

وإذا كان الجاحظ والمعتزلة قد رفعوا شعارا مركزياً وهو « ورود العقل قبل ورود الشرع » وإذا كانوا قد حملوا العقل مهمة « التحسين والتقبيح » فإن الإنسان ينبغي أن يكون عارفا بالله . والمعرفة عند الجاحظ واجبة وضرورية تترك بالعقل قبل النقل . بل ذهب مع أستاذه ثمامة بن أنشرس إلى القول « إن المعارف كلها طباع رغم كونها أفعالا للعباد . فهي تصدر عنهم دون أن يكون لهم فيها أثر ولا اختيار إذ لا يملكون إلا الإرادة . » وبناء على ذلك فإن أفعال العباد من أوامر ونواهي هي طباع وليست كسبا .

ورسالة المعاش والمعاد شكل من أشكال تطبيق مبدأ مركزي في الفكر الاعتزالي

وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . فأراد الجاحظ نصيحة القاضي أبي نؤاد ومن الغريب أن يعتقد بعض خلفاء بني العباس الاعتزال ويتحولون إلى دعاة للتعصب والإستبداد الفكري من حيث أراد زعماء المعتزلة تحرير الفكر . على نحو سيرة المأمون ووزيره أحمد بن أبي نؤاد في إكراه الناس على القرآن مخلوق وفي حديثه عن الممارسة السياسية يدعو الجاحظ إلى ضرورة الاقتداء بالمنهج القرآني (مبدأ الترغيب والترهيب) « فالرغبة والرغبة أصلا كل تدبير . وعليها مدار كل سياسة عظمت أو صغرت . » 6

ولما كان الترغيب والترهيب غريزتين في الإنسان فإن الجاحظ يرفقهما بمبدأين وهما العدل والوعد والوعيد . وفي ذلك يخاطب القاضي منبها له « فأجعل العدل والنصفة والعقاب حاكما بينك وبين إخوانك » 7

وعلى القاضي أن يحسن تخيير الإخوان ممن كان صلاحه من صلاحهم فيفوض إليهم الأمر . فاهل خاصته هم شركاؤه في الحياة . ويعلم القاضي أن الشدة دواء لا بد منه لمن فسد أمره معك . وأن مواطن اللين ضرورة لمن أخلص العمل والنصيحة فليس بحكيم « من لم يعشر من لا يجد من معاشرته بدا » 8

ومن حين لآخر تظهر نزعة تعليمية إلزامية . تدفع القاضي إلى التثبت ومراجعة النفس حتى لا يقع في المحذور الأخلاقي « فأحفظ هذه الأبواب التي يوجب بعضها بعضا . وقد ضمنت لك أوائلها كون أواخرها . فأعرقها وأقتبسها ... » 9 ويضيف قائلا « فأحذر المقدمات التي يعقبها المكروه . وأحرص على توطيد الأمور التي على أثرها السلامة » 10

وللمعتزلة مبدأ آخر وهو « المنزلة بين المنزلتين » يتجلى في دعوة القاضي إلى الاعتدال في السلوك فلا إفراط ولا تفريط . والفضيلة لا تكون إلا في التوسط « ولكل شيء من هذا إفراط وتقصير ، وإنما تصح نتائجها إذا أقيمت على حدودها » 11 ومن جملة القواعد السوكية التي ذكرها الجاحظ في تعليم القاضي « التوسط » : عدم الغلو في الجود والتواضع والكبر والمؤانسة والإنقباض والأمانة والصدق والحذر وجر المنفعة ويدعوه إلى ضرورة التحفظ من هذا الباب وإحكام معرفته والعلم بما يعلم ورياضة النفس على الطباع المحموده .

وشرط السعادة " المعرفة بالعلم الذي يحفظ المال ويصون العمل " وينصحه بتثمين المال " آلة المكارم ، وعون على الدين . ومتألف للإخوان وأن من قد فقد المال قلت الرغبة إليه والرغبة منه ومن لم يكن بموضع رغبة ولا رهبة استهان الناس بقدره » 12 .

وليس يكون الاعتدال في المال فقط بل في الصمت والنطق « واعلم أن الصمت في موضعه ربما كان أنفع من الإبلاغ بالمنطق في موضعه » 13 وكذلك يكون في الشجاعة فلا تجوز مخاطرة بالنفس أو المال إلا دين أو خوف لغار . والتوسط مع العدو ويرسم للقاضي دقائق معاملة العدو « فلتكن في أمره بين حالين : استبطان أكثر منه ، والاستعداد له » .

وعلى القاضي أيضا تعهد الناس بالجزاء والمعاتبة والمداواة دون إحراج في الدين أو العرض أو البدن . غير أن معاملة العدو ليست كمثل معاملة الصديق " فالصديق وجه معاملته المسالمة والعدو وجه معاملته المداواة »

وعلى القاضي أن يتفحص الأخبار ويعلم رافعها ولياً أو عدواً صالحاً أو طالحاً . وأن يحسن تقصي ما يستمع ، فأول درجات المعرفة الشك . فإذا ظهرت بعض الأدلة زال الشك وحل الظن وإذا قويت الأدلة أكثر زال الظن وحل العلم الصحيح « فكلما زاد الدليل قوي الظن حتى ينتهي إلى غاية تزول معها الشكوك عن القلوب وذلك لكثرة الدلائل . » 14

ويعضي الجاحظ بعد ذلك للحديث عن آداب الصداقة ، فهي ضرورية للإنسان والصديق : شقيق روحك وباب الروح إلى حياتك ومستند رأيك وتؤام عقلك » 15 ومن الطبائع المذمومة التي يحذر منها القاضي الكذب والغضب والجزع والحسد . وحمدت الحكماء أصدادها التي بها تنال جسام الأمور في الدنيا والدين . « فاجعل هذه الأخلاق إماماً لك ومثلاً بين عينيك . ورع عليها نفسك . وحكمها في أمرك تفز بالراحة في العاجل والكرامة في الأجل » 16 ويحبب إليه من خلال الصدق والوفاء والصبر والحلم . ويحزره من دخلاء السوء والمفاخرة بالأنساب .

ويحذر الجاحظ محمد بن أبي نؤاد من المنح المكنوب فيصفه بأنه أسواق

أقاموها للأرباح " وعليه أن لا يخدع بالكلام الزائف .

إن كل هذه المسائل الأخلاقية السلوكية في علاقة القاضي للإنسان بنفسه وبالله وبالناس قد تحدّث عنها ابن المقفع في مؤلفاته كلّها غير أن مقارنة المسألة السلوكية تختلف عندهما من حيث مصادر التفكير وطريقة التعبير .

وإن أصعب ابتلاء هو صحبة السلطان « إنك ستمنى بصحبة السلطان الحازم العادل . وبصحبة السلطان الآخرق الجهول الغشوم . فالحازم يسوسه لك الأدب والنصح . والآخرق تسوسه لك الحيلة والرفق »

إن الأخلاق السلطانية مبحث أساسي في هذه الرسالة وبهذا المعنى تختم الرسالة بقوله « فإنك إن ضببطت نفسك عشت رخي البال قليل الهموم كثير الصديق قليل العدو سليم الدين نقي العرض محمود الفعال » ثم بالصلاة والسلام على محمد (ص) .

وهذه الرسالة يظهر فيها الجاحظ إذن مفكراً اجتماعياً ومنظراً سياسياً ولما كانت القواعد السلوكية عنده نظرية أصولية فإنها عملية بالأساس . جمع فيها مبادئ المعتزلة الخمسة (التوحيد - العدل - الميزلة بين المتزلاتين - الوعد والوعيد - الأمر بالمعروف) .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يتّضح من هذا الكلام أن الجاحظ إنما يؤسس مبدأً عقلياً وهو فعل التائب المشروط بفعل المعرفة الدينية والطبع الأخلاقي فيمتزج الخطاب العقلي المحض بالخطاب النقلي المقدّس .

والنفس العاقلة بالأمم بالمعروف والنهي عن المنكر وأن الأمر والنهي غير ناجعين إلا بالترغيب والترهيب فالأخلاق قائمة على أوامر العقل وأوامر الشرع .

والرسالة أخيراً تعتمد الفكر الجدلي من نفي وإثبات وتعليل وتحليل . وتكشف لغة الجاحظ عن منطق صارم ، يشتغل بالفكرة بأسلوب أدبي عقلي يجد فيه القارئ والأديب والعالم لذة كبيرة . ويتردّد في الرسالة صدى علم الكلام والفلسفة والمنطق والاستدلال بالحجة العقلية أو النصية أو النقلية والتجربة خبراً أو عياناً . فكان رسالة المعاش لخصت ما كان سائداً في البصرة من دعوة إلى المعقول وما كان في الكوفة من دعوة إلى المنقول وما كان يتصوره الجاحظ من طبيعة الوجود البشري

وحقيقة السلوك المنشود في المعاش ليصلح المعاد ولم يكن القاضي ابن أبي دؤاد
سوى وسيلة يجوز بها إلى المسألة السلوكية والأخلاقية .

الهوامش :

- | | |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| 1 - ص 66 : رسالة المعاش والمعاد | 10 - ص 78-77 رسالة المعاش والمعاد |
| 2 - ص 68 نفس المصدر | 11 - ص 79 رسالة المعاش والمعاد |
| 3 - ص 68 نفس المصدر | 12 - ص 80 رسالة المعاش والمعاد |
| 4 - ص 70 نفس المصدر | 13 - ص 82 رسالة المعاش والمعاد |
| 5 - ص 70 نفس المصدر | 14 - ص 84 |
| 6 - ص 74 نفس المصدر | 15 - ص 84 |
| 7 - ص 75 نفس المصدر | 16 - ص 86 |
| 8 - ص 76 نفس المصدر | 17 - ص 91 |
| 9 - ص 76-77 رسالة المعاش والمعاد | 18 - ص 91 |

المصدر : رسائل الجاحظ : الرسائل السياسية دار مكتبة الهلال . بيروت ط1-1987

رسالة المعاش والمعاد (ص 63-92)

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ان الكاتب يحتاج من نفسه ويعتاج من صاحبه الذي يثق به في مهمات امره
ان يكون حليماً في موضع الحلم، فهيماً في موضع الفهم، مقدماً في موضع
الأقدام، معجباً في موضع الإعجاب، مؤثراً للعفاف والعدل والانصاف. كتبوا
للأسرار. وفيها عند السدائد، عالماً بما يأتي من النوازل. يضع الأمور مواضعها .
والطوارق في أماكنها. قد نظر في كل فن من فنون العلم فأحكمه. وإن لم
يعلمه اخذ منه مقدار من الحسن. واحتمل على صرفه عما يهواه من القبح بالطف
هيلة واجمل وسيلة.

عبد الحميد الكاتب

شرح من الذاكرة

(5)

قطع : الأستاذ محسن الكريفي



* الشرح الخامس ... هكذا قابلت الصرح
الشعري الخالد عبد الوهاب البيّاتي ...
هكذا وجدته ... وهذا ما يحمله عن تونس ...
* * * * *

لكلّ مرة حلم يراوده ومثل رسمه في
مخيلته .. يخطو في الحياة على
هداه ويرجع إليه عندما يحتاج
إلى ملجأ يحتويه ... قد يكون هذا

المثال بسيطاً ولكن مسحة التوق إلى الأمل تجعله أسطوريا ... صرحاً على ربوة
الذاكرة لا تنوشه رياح ولا تهدمه عواصف ... إن رسم نموذج من الأحلام التي
تراودنا يعدّ خطوة نحو تأصيل منشودنا والسعي إلى تمثيل فلسفته وما يدعو إليه
من قيم سامية .. قد يكون الصرح رسولا ... وقد يكون صنما ... يمكن أن يكون
مغنياً ... ويمكن أن يكون معلماً ... ربّما يكون فكرة ... وقد يكون طيفاً ... إن هذه
النماذج لتلتقي حول دوائر الفن أي ذلك المتخيل الذي يحول العالم إلى عالم ثان
... عالم مستحيل ... عالم شعريّ تمتزج فيه طبائع الموجودات وتمحي عندها كافة
التفاصيل ...

يوم الأربعاء والعشرين من يناير (جاتفي) لم يكن يوماً ... عادياً ... هو يوم
ستخلّده الذاكرة ... كان زميل مغربيّ لي قد أعلمني منذ مدّة بأنّ شاعراً متميّزاً
ليحلّ بالسلطنة ... رجوته أن يخبرني من يكون الزائر ؟ ... فما أفلحت في صيد
الإجابة ... كان يريد أن يبقى الأمر مفاجأة .. هو يعرف أنّي مغرم بالبيّاتي ...
وكان يماثني الموقف .. وكما تذاكرنا شعراً عند فراغنا ... تلقى إمتاعاً ... ونشرحه
تباعاً ونصطاد عيونه مناصفة ... وظلّ السؤال معلّقاً واستمرّ الجواب جوّالاً ... إلى

أن حلَّ يوم اللّقاء ...

كانت الصّحف قد أعلنت عن تنظيم لقاء شعري مع الشّاعر الكبير عبد الوهاب البيّاتي في النّادي الثقافي " بالقرم " وهي ضاحية بمسقط العاصمة ... ورغم أنّي أمقت التّعوت في غير موقعها والتّقييمات الفضفاضة فإنّي قد وجدت صفة الكبير بعضاً ممّا يمكن أن ينعت به هذا الرّجل ... أليس البيّاتي رائد الشّعر العربيّ المعاصر ؟

أليس من صحب ابن جيكور بدر شاكر السيّاب في دار المعلمين العالية ببغداد ؟ ألم يكن من طيبة نازك الملائكة وبلند الحيدري ؟ أليس شاعر المنفي ؟ أليس الشّاعر الوزير والشّاعر الديبلوماسي ؟ الشّاعر الذي قضى أكثر من ستين سنة وهو يقطع أوصاله ليقول كلاماً ينفع في أمجاد السّلف ويذكّيه بطابع إنسانيّ ومنزع عقليّ .
إنّ البيّاتي في كلمة عمود الشّعراء ... ومن القلّة النّادرة التي توجد بإبداع يقنع العقل والوجدان ... ترجمة أغلب مجموعاته الشعريّة إلى أغلب لغات العالم دليل على شعريّته ... أمّا تفحص عوالم كلمة فتحتاج إلى مجاديف صلبة وإلى معرفة موسوعيّة وحسّ غير متبلّد يميّز به بين غذاء الرّوح والعقل وغذاء البهائم التي تبلّد الرّوح والعقل ... عناوين من قبيل « سفر الفقير والثّورة » الذي يأتي ولا يأتي ، بكائيات إلى شمس حزيران " ... كلمات لا تموت " ... ملانكة وشياطين " ... النّار والكلمات " ... " يوميات سياسي محترف " و " عائشة " ... تجربتي الشعريّة ... عناوين تجلب رهبة كبيرة ... وتغرس في الذات إجلالا ... وترسم دعوات تلهم المتقبّل أن أقبل فمساحات كلم الشّعر فيها أكثر من غاية ودلالة ...

لهذه الأسباب وغيرها كنت منشغلاً بالبيّاتي ... لم تزدني ترمّضات البعوض إلّا اقتارنا به ... ولم تحل عرقلات فوارس النّحاس إلّا إصراراً على احتضان أشعاره .. لا أخفي أنّ مشاغلي في يوم الرّابع والعشرين من يناير كانت كثيرة ... إعداد واجبات ... تسجيل درجات ... تكميل إصلاح الدّفاتر ... تركت كلّ ما لديّ وعزمت على مواكبة الأمسية الشعريّة ... قبل لحظات من بدء الرّحلة جاء تتي رسالة من صديق تونسيّ ... كان اختار الديباجة من شعر الشّاعر من ديوانه " قصائد حبّ " على بوابات العالم السّبع " ... من قصيدة يوميات العشاق الفقراء ... تقول بعض

أبياتها:

تفتصب العالم بالثورة والوعيد

والموت والرحيل ...

نسقط أعياء على أرضفة التاريخ ...

نذبل في مناجم الفحم وفي مناجم الفحم وفي أقيية الجليلد

نموت واقفين

نموت في غربتنا لكننا نولد من جديد ...

هكذا تلعب الصدفة لوحدها أنوارها ... وتلتقي القوادح عند مزيد الإصرار ...

ولم أعرف كيف وجدت نفسي في أمواج من الأسئلة المتلاطمة : كيف يكون اللقاء ؟

وما عساه يضيف إلى ما تراكم على امتداد السنين من إكبار له ؟

هل بإمكانني أن أكلّم ديناصور الشعر وهو الذي كسب الشهرة والعالمية

واحتفظت به ذاكرة الآلاف في الوطن العربي ؟ عمّاذا سأحدثه ؟ .. تحياته ذلك

الطائر الأسطوري الذي يرحل مع الإصباح ولا يعود إلّا عند اضطجاع الناس ؟! ..

بقي لغزاً كلغم طيبة وناقوساً يرنّ في الذاكرة كناقوس شتغاي ... في الطريق كان

سائق التاكسي الباكستاني يحاول مجادلتني حول الهوية والمهنة وظروف العيش ...

ولكنّي كنت شارّد البال ... أجيب باقتضاب وأحثّه على مزيد السرعة ... إلى أن لاح

المركز الثقافي ... بناية آية من الجمال ... تحفة ثقافية لم أر لها مثيلاً ... تجهيزات

تذكّر بأرقى الفنادق ... مكيفات ... لوحات ... شاشة كبيرة تسجّل الحضور

مباشرة ... الكلّ في استعداد من وزراء وأساتذة ... وشيوخ وطلبة ... غصّت

القاعة يومها ... الإذاعة والتلفزيون في الموعد وعشرات من المصورين وآلات

التسجيل ... وددت لو أنّ التوحيدى والمعرّي وابن خلكان كانوا حاضرين لدمعت

أعينهم ... لقد تبوّأ الشعر مكانته ... وأصبح الشاعر تبسط له الورود وتدفّق الطبول

عند قدومه ... عندما جال البصر مستكشفاً القاعة رأيت الكمة العمانية واللحاف

السوداني والجلباب المصري والبدلة اللبنانية والعراقية والأردنية ... القاعة

فسيفساء أجناس لم يكن هنالك سوى تونسيين : أنا وواحد آخر يشغل مديراً

لمدرسة إعدادية ... لمحت صديقي المغربي في الصفوف الامامية يبتسم مثيلاً

حسدي على هذا الموقع الممتاز ... وأخيراً ضانكت الصّفوف ... اخترت مكاناً قريباً ..وانتظرت ساعة البدء ... حلّ البيّاتي على السّاعة السّابعة والنّصف ... كنت لا أصدّق الموقف ... حلمت كثيراً بمقابلته على أرض اسبانيا أو البرتغال أو أمريكا ... أرض ثانية غير البلدان العربيّة ولكّني قابلته في عمان في أرض منّا وإلينا ... لا بأس فالأماكن واحدة ومسقط وتونس والربّاط والقاهرة أماكن من نفس الهويّة ... لاح البيّاتي وقد بدت عليه علامات الشيخوخة والشباب متحدين ، المنفى والوطن متزاوجين ... الحبّ والأرض والحرب والسّلام وقد اتّحدوا ... جلس جلسة الكهنة الهادئين يوزّع نظراته صوب القاعة ... وبدأ يتلو أوراده ... أوّل قصيدة كانت المغني والقمر يقول فيها :

رأيتَه يلعب بالقلوب والياقوت

رأيتَه يمرح ..

ملطّخاً بالطين

وقمراً أخضر في العيون ..

وهو على قارعة الطّريق

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

في سكينته يموت

وثنى بقصيدة إلى ولدي علي

مدن بلا فجر تنام ...

... وسالت عنك الرّيح ...

ورأيت وجهك في المرايا والعيون ...

مدن بلا فجر يغطّيها الجليد ...

كانت العيون شاخصة والأقواء مغمورة ولا حركة إلّا لأصوات آلات التّصوير
وتصفيقات المستمعين ... الكلمات تحمل الرّواد إلى عوالم مختلفة ... عوالم بعيدة
... إلى أودية الشّعور الأزليّة حيث كلّ شيء على سجيّته الأولى ... لا مساحيق ولا
وساطات ... لا صعود ... ولا نزول :

هذه الدّنيا دولاّب هواء ...

الصّاعد نازل ...

هنا ولدت عائشة .

صارت كاهنة لمداخن صالح .

وتواصل إبداعات البياتي ... وتتواتر عوالمه الشعرية واضعة الدلالات على محك
التناقضات والمقابلات والطباقات شأن أحكام العالم المعاصر الذي مات فيه المؤلف
وأضحت الكتابة سقط متاع .

حين يموت المؤلف

يتحد النهر بالتبع ...

ويصير اللقاء وداعاً ...

وقضاء الكتابة ...

سقطا متاع ...

إنها إطلاقات على عوالم اللحظة الحاضرة وقد انصهرت مع لحظة الأمس الغابرة ،
لحظات ينهض فيها الميت من قبره ... ينتفض فيزول القبر والكفن كما يقول المتنبي
... هذه الشخصية لها حضور متميز في عالم البياتي الشعري إذ ألقى قصيدة
تحمل عنوان : " حرائق المتنبي "

لما ضربت في الكوفة أعناق الثوار
<http://Archivebeta.Sciencelibrary.org>

أحجار الهرم الأكبر تنهار

شعوب ولدت فوق ظهور الخيل

وأخرى نهضت من تحت الانقاض

صمت القيتار

لكن المتنبي ..

ظل يواصل إشعال النار ...

في جثث الموتى

وقبور الأحياء

ولا تخلو اللقاءات الشاعر من ومضات موجزة وبليغة ، هي القصيدة الإشارة أو
الإشارة إلى قصيدة مسكوت عنها فقد حملنا إلى اسبانيا وإلى عوالم غرناطة
وحكاية عبد الله ومفاتيح آخر معازل المسلمين .

لا غالب إلا الله

فلماذا يبكي عبد الله .

المتنبّي ، عائشة ، الحلاج ، عبد الله ، لاهور > علي بن أبي طالب ، مفاتيح مدينة
البيّاتي الشعرية فهو ابن المدينة . ولا تخلو أشعاره من نقلها إلى ملامح أخرى لعلها
مدن الملح والجرح أحيانا أو مدن العشق أحيانا أخرى . وإذا كانت الأعلام
التاريخية مفتاحا لشعر البيّاتي فإنّ للشاعر مفتاحه الخاص ... هو مفتاح قد ضاع
في خضمّه مدن العشق ...

رجل من لاهور ...

أهداني مفتاحا ذهبيا

وقناعا ...

لكني في مدن العشق

ضيّعت المفتاح ...

ما أروع أن يضع مفتاح الشعراء ... هنا تبدأ الفتوحات من جديد ... فلعلنا إلى
عوالم الشعر وامبراطوريات الشعر عاثون ... أبدع عبد الوهاب في تلك الأمسية
التاريخية ... وبدأ مجال الحوار ... تكلمت الحبيسيات المختلفة كان لابد أن أقول
كلما ... إن الأسئلة تتزاحم إليّ ... ولكن ماذا سأقول في هذا الموقف ؟ ... وجدت
نفسي أتذكر طوق الحمامة لابن حزم الأندلسي ... إن الإغرام طريق إلى الحبسة
والارتعاش والاضطراب أمام المحبوب ...

جاءته صورته القديمة عندما كان تلميذا في المرحلة الابتدائية ... كانت تعتريه
رهبة وارتعاشات عندما يروم كلاماً أمام المعلمين الجبابرة الذين لا يرحمون ...
وأثناء النور ... لم لم يصدّق النور ... لم يصدّق الموقف ... ها أن اللحظة التاريخية
تولد ... من رحم الغربة والأسفار ولدت كطائر الفينيقي ... لا يظهر إلا مع الغبش ...
* شكرا لسلطة عمان ... شكرا للنّادي الثقافي بالقرم ... لقد انسابت الكلمات ...
كان يرى صدق التقبّل في عيون الحاضرين ... وابتسامات البيّاتي الخفيفة ...
حدثته عن بصمات الطّفولة في أشعاره ... وعن الموت والميلاد وعن تجربته الفنية
.... وعن رحيل أصحاب الشّمال محمّلين بالوعيد والتّنبذ ... حدثته عن الغزال

المذبوح وعن الحب الأول المؤؤد .. وسألته لم الرحيل ؟ رغم أننا نريد يوماً الرحيل ؟
جاءت الإجابات تباعاً وقال : قد نستغرب الرحيل وأسبابه ؟ ولكن رحلتنا قدر
مفروض ... فالشعر رحلة والحياة رحلة ... قد تختلف الأسباب ولكن العملية واحدة
... رحم الله علي بن أبي طالب عندما قال « إذا لم تستطع دفع الشر فهاجر » ...
حديثي مع عبد الوهاب البياتي سيكون أجمل حديث تحتفظ به الذاكرة ... كان جدّ
متواضعاً رغم الشهرة والحفاوة البالغة ... كان موسوعة شعرية ونقدية وثقافية ،
كان درساً لمن ينشر قصيدة في إحدى الصّحف ويمشي مختالاً ناقماً على الشعر
والشعراء متفوّهاً بكلام مجنون ... كان شهادة على أن الشهادات الكبرى التي
يتججع بها البعض ويركبون بها صهوات المنابر الثقافية ليست سوى سكاكين حادة
تقير المبدع والإبداع ... عبد الوهاب البياتي يحيي تونس بكل صدق ... قال لي :
« ... لفت العالم كله ... زرت أمريكا عشر مرّات ... ولكن ذكراي لتونس لا تمحي
... كانت لي أمسيات لطيفة مع الطلبة والجمهور التونسي ... وقد سمعت هناك
سؤالاً لن أنساه لأنّه طريف ... »
حاولت بفضوليتي أن أعرف هذا السؤال ... وبعد تفكير قال : « سألتني طالب
عن رأيي في التطبيع ؟ قلت له : « وأين الطرّافة ؟ قال : « أنا شاعر ولست سياسياً
... أنا مع العالم مجتماً ... مع كلّ الناس إخوة ... مع التّاريخ شعراً ومع الحياة
سعادة » ... البياتي ما زال يتذكّر المرحوم صالح جغام ... والمساجلات معه في
حقيبة المفاجآت من اسبانيا ... الحديث عن البياتي يطول ولكنّي أقف عند هذا الحدّ
لأنّ الذاكرة لا بدّ أن تحتفظ ببعض الوقفات الغامضة ... والأسرار التي تتبع في
لحظات الشّراب والخراب ... نسيت أن أقول لكم إنّي أهديت البياتي نسخة من
مجلة الإتحاف وقد تقبّلها بسرور وإعجاب ... وقد أثارت حفاوة البياتي بي غيرة
وحسد صديقي المغربي



سَلْيَانَةُ مَطْمُورَةَ الْبَلَدِ السَّعِيدِ

شعر : عبد الرحمان العبيدي

يَنْحَارُ مُخْضَلُ الْفَمَامِ لِزَيْعِهَا
لِيُؤْجَ بِالنَّاءِ السُّجُومِ
وَيُتَقِيمُ فِيهَا عَلَى الزَّمَانِ
عَرَائِشُ الْخَصْبِ الْعَظِيمِ
سَلْيَانَةُ مَطْمُورَةُ الْبَلَدِ الْحَبِيبِ
قَفْحُ تَرَعْرَعٍ فِي السُّهُوبِ
مِنْ عَشْرِ حَبَّاتٍ تَوَالِدُ مِثْلَهَا
فَوْقَ الثَّرَى
فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ تُشِيرُ بِلا بُنَانِ
مَائَةٌ مِنَ الْحَبَّاتِ شَامِخَةٌ الْأَنْوْفِ

* * *

سَلْيَانَةُ مَطْمُورَةُ الْبَلَدِ السَّعِيدِ
بِنَ حَبَّةِ الزَّيْتُونِ يَنْبَعِثُ السَّنَى
يَتَوْنَةُ مَوْصُوفَةٌ ضَرِبَتْ أَصُولُهَا
فِي الْقَرَارِ
يَتَوْنَةُ فَخَرَتْ بِمَنْزِلَةِ الْفَخَارِ
يَتَوْنَةُ تَوْسَطُ بَارِكُهَا السَّمَاءِ

سَلْيَانَةٌ مَطْمُورَةٌ بِالْأَمِينِ
يَحْتَوِي عَلَى أَرْجَانِهَا سُدَّ جَمُومٍ
سُدَّ تَمَجُّدُهُ الْحَيَاةُ

يَكْرُمُ مِيَاهُهُ مِنْ ضِيَاءِ
سُرِّيَةِ النُّوَارِ وَكَتَمَلُ الْبِهَاءِ
وَشَقَائِقُ النُّعْمَانِ قَبْلَهَا النَّدَى
فَقَتَرَدَتْ وَجَنَاتُهَا فَرَطُ الْحَيَاةِ

وَتَرَاقَصَتْ مِنْ فَوْقِهَا أَكْخَامُ زَهْرِ الْيَاسْمِينِ
جَذَلَى يَهْدِيهَا الصَّبَا

وَبِرَاعِمُ ضَاعَتْ تُغَوِّرُهَا كَالْبَهَارِ
مُخَضَّضٌ نَبَتُ الرَّبِيِّ مُتَرَفِّعٌ مُتَرَفِّعٌ
مُتَضَوِّعٌ مُتَضَوِّعٌ دَانِي الْقُطُوفِ

غَابَ تَقْلَدُ نَبْتِكُمْ تَاجُ الْغُيُومِ
ثَبَّتَ أَصُولُهُ فِي الثَّرَى
http://Archivebeta.Sakhi.co.uk

وَرَنَتْ فُرُوعُهُ لِلْعُلَا شِبْهَ الْكُفُوفِ

وَتَطَايَرَتْ مِنْ حَوْلِهِ رِفَافَةٌ زَفَمَرُ الْخُطَافِ
مَرْهُوَةٌ تَخْتَالُ فِي حُلِّ السَّيِّمِ

فَتَانَةٌ مَفْتُونَةٌ بِمَنَاطِرِ الْوَادِي الْكَبِيرِ
وَالنُّحْلُ أَذْهَلُهُ الْعَبِيرُ

مُتَعَبِدٌ مُتَهَجِدٌ فِي هَيْكَلِ الْمَرْجِ الْمَطِيرِ
مُتَخَشِّعٌ مُتَضَرِّعٌ مُتَضَوِّفٌ

يَتَلَوُّ حَدِيثًا مَبْهُمًا فِي حَضْرَةِ الزَّهْرِ النَّصِيرِ

بَنِيَّةٌ تَهْوَى الْفَوَارِسَ وَالطُّبُولَ
 وَيَهْزُهَا ضَرْبُ الدُّفُوفِ
 بَنِيَّةٌ تَحْنُو عَلَى أَرْضِ الْجُودِ
 بَنِيَّةٌ تَفْتَنُ فِي حِمْلِ الشُّوْفِ
 بَنِيَّةٌ حَضْرِيَّةٌ تَرْنُو إِلَى الْآتِي السَّعِيدِ

* * *

سَلْيَانَةٌ سَفَرُ الْعَرَاقَةِ فِي الْخُلُودِ
 مَجْدٌ عَلَى مَجْدٍ تَلِيدُ
 تَتَرَى الْمَلَّاحِمُ فِي ثَرَاها حَيَّةٌ
 مَحْفُورَةٌ يَطْلُبُ السَّيُوفِ
 مِنْ « جَامَةِ » الْمَاضِي الْبَعِيدِ
 مِنْ دَقْتَرِ الدُّرُسِ الْخَرِيدِ
 نَسْتَشْرِفُ الْآتِي الْمَجْتَمِعَ بِالطُّمُوحِ
 وَنَشِيدُ بَرْجًا شَمَخًا حَرًّا مَنِيْفَ

لم يكن الشعر هذفا بالنسبة الي بل هوى. ويجب تشريف الالهواء. اذ لا ينبغي ولا يمكن استنارتها اراذبا رجاء التعويضات القصيرة او المدايح الاكثـر حقارة ايضا. الصادرة عن البشر

إدجار النـ بر

النفحات ما رسمه بالقبور على صفحة نوح

بقلم : أحمد سلطاني

تصدير : إذا متْ فدعوا الشرفة مفتوحة « لوركا »

... إثنين من ريش الحمام شقّه الرّيح

إثنان من ...

مساماتك تسفّ النّشيج في العتبات

مساماتك تعريّ أو مساماتك تعلو

تدقّ المسافة تحتي السّفوح

تدقّ السّفوح أنا لخطنا

على أيّ إيقاع ترتّب الخطو

لأيّ نثبت في الغمام

لأيّ يا ساقبي الرّيح يذبل اللّوح

لأيّ نعود .. هذه مريم

أناء الكتاب لم تكن تدري

فمن علم مريم أن تدهس ريحي

من علم مريم أن تقول الجبال

أو تقول أسمائنا في الظلام

لم تكن تدري فأرسلنا الضّوء

لباسا للمتعبين وأرسلت

جماجم النّسر تبيكي علينا

إثنين من ريش الحمام شقّنا الرّيح

إثنين من تعبى .. من هوى نعشى علي

عليك .. سطا الضوء في النغمات

وطوفان لم يقل خلقي

فهل هذه نوح .. هل هذه الكعبة حتى أصلى

قلت النهر سيجري قليلا وقلت هدير الكلام

لأي نكتب ظله لأي تغادر في الرماح

نحن قرى للنسور .. نحن الغمامة في برق تنثني

في شهوة التبغ أعراسا للناحين

أجراسا من الملح في الشبهات

وسرحان سها عن معاطفة ...

نصفين شقة الذهب ...

نصفين هذه البوح ... هل أقول حروفه وأجري

هل أقول سطور الماء خذات ... أنا قلت قليلا

فهل جفت جبال على خاقي في العراء والزهور

سهولا لمن وجلوا

أنا لم أقل شيئا ...

لم أكن راغبا في الشهور ... كذا سالت يداي

وإثنان علي ... على الرقصات سهونا

على ساعدي ... على فتنة في الفجاج ترسم سطوة الماء

فهل هذه المروى ... هل هكذا تخبو

كنت الإثنين من صور وعكا

إثنين من صليل اليتامى ... تقرت الطمي

إلى هذب الغزاة فانسكبوا في البروق

وتباعد ظلنا إلى المنفى الحزين والكلمات

تهجيت ثمرات الليل على عرينا في النحوت

فانحدروا في الفراغ ثم تهنا قليلا

لاي كتبنا الهدير على ضفة نوح لأي نيم الوجه شطر تهم
وأجنحة الغاب دثرت ولدها
فيا أيها الجسر المعفر بالظي
يا أيها الصوت المبعثر في الحريق
التقط خافقي ... آحنو علي
هبني المسيح أتيتك البشرى ...
هبني لونا غير أعيادكم
هبني حانا تلمض زهره يوسف
وها نسقط في الدّم
لا أعتاب تشرب طقسنا
لا أزرق يطفو سباحنا
لا زورق به نعبّر النّبض والسّفينة ترشح بالنّحيب
فأرسل يا نوح هواتك
أرسل لنا التّوت ... إنّنا أجرينا الثّمار أبراجا
وإثنين من زرع النّرى شقّه الشّغب
إثنين من تمرّك هزّه الدّوح فصلّ عليه
وارجم ندبته ... وارجم خريده في الضّفاف
ويا رعشة في التّخوم إنّنا سهونا فهل نذبت في الذّئاب
دما كان بريّنا أغرقه الموج ... وأغرقني الصّوء
على شفا النّبض هتاف السّواقي
ويا نوح هذا الغريق إستباح لظي التّوت
واستباحنا للوردة على اللوح فقلنا نجود
هذه الكفّ رجعها الزّرع رجعها خافقي ... رجعها أنت
فالتقط خافقي ... افترش تحتي السفوح ... ادل بوجهك في
وحطّ على شجري إنّ الجراد يرسويه الفصل
فتزهو اعشاشنا

تَكبر فينا النواسخ ثم تعرى جوارمنا
ويا أيها الرجل المضرج بالهزيمة كأن الوترين
بهما الذبح إليك وبني لهفي فالتقط خافقي
والتقط ريح الشمال ... إن جنّازك الغيم
اطفائه النجوم وطلوّقتني ... إنّه قصب من بياض النعوش ... وإنّي عليك لفافة
من تبغ الخريف ترشح بأقماري الطرق
إنني عليك غمامة تبيّس فيّ الجليد ... ندوروا من ظل
التوحّش في الأغنيات ... من ظلك الوجل
وها نشرب أغصان لوزتنا ... كأن أعصارا
يأتي من الغاب بطيئا ... كأن الشموس لم تعد
تحبل بالشّعاع كأن الرّسالة خانها الشبق
وها غصنك نوح ... وغصني الصّحف
تعقّبت صحراؤنا الببو ... تعقبت قيسا
فقل لليلاك فتاوي الرّحيل وقل خافقي
إنّا سريان يهمّ بنا الجبل والثلج فاض به القوس فاضت به النّعمات ... كأنّ
سريين
همى عليهما الوتر ... كأنّي حدود البداية
في حجر يُصقل للصيّد وهلل قنصك أشهى
نوح لم يكن يدري ... وقاربنا الذئب الوجوس
وجلّت إذ سملت له الذئب
فالتقطت رحمي وادهس على الخفقات في نثار الرّوح أتبّت
بلا عتبات ندخل منها بلا صوت يعبر البحر بلا أنت فهل قبورنا تدري
العنادل ... هل يرسبونها الماء وتطفو الرّسوم على جرح رخم
ويا نوح في إشتداد الذئب أنهارا
ترتفع شواهد للملكوت ... فدقّ غباره ينبت الكمد ... يرشح الضيّم من حواشية
سلاما للفروع

في العتمات ... وفيك
وها يتشقق الرعد شطرين من ولهي
فيا أيها المضرَج بالضياح وعرشك النسخ
ويا قبورا لست بانيتها
سقط الشمع ... سقط الدلو ...
سقط الكفن ... سقطت يدك فالتقط خافقي
والتقطني فرادى ... كنا بلا شوك حفاة
نحج النسور ونشرب الذئب والنَّبَع والليل
وها يتشقق الرعد ... يرسو الهدير على شاطئ الموت
وطائشا كان الحرير في الرسوم الذبيحة
في خفق الثوراس خبأت ريشها عندي
والريش حروف تحط على غير أسمائها في الظلال
لم نقل أكفانها ... لم نقل طوبى
على جرس الماء وتخبو
همستم أنا احترقنا والرَّماد
أجنة القادمين فقلت
أين أعطي الأشهى
أين أنا
أين تنام
أين تنامين
أين ننام
أين ... أين
أين ؟

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

نساء وأتلام

بقلم : فاطمة سليم

١- ساكنة وسائقي

أنا كاتبة أدبية ... شاعرة مثقفة واعية منتجة حساسة فاهمة وأريد أن أفعل أشياء كثيرة في هذه الحياة ... رغم العراقيل ورغم الصعوبات ومقدرة الإنسان المحسودة وظروف المرأة الصعبة في محيطنا أريد كل شيء والمنظرة للأروع وللأجمل .. لا أعترف بالمعوقات ولا أستسلم للبكاء والمرارة والإجترار .. إن صعب عليّ تحقيق هدف الآن .. فأني سأنتظر ولا أياس .. وسأعمل من أجل أهدافي بكل هدوء وبعد نظر وثبات خطى ... وحيلة ... وسأضحك كثيراً جهراً وسراً .. على كل من يفكر في أنه استغلني أو استعبدني أو سخرني أو عاقني لأن العبرة بالنتائج .. ومن كان عمره طويلاً بنفسه طويلاً كفاه وقته لتحقيق كل أحلامه .. أنا امرأة ومتفوقة .. ومن العبث يدعوى أنني أدبية أن أحرم نفسي من تجربة الزواج وشرف الأمومة .. وحتى من غليان القدر وصراخ الأطفال .. وصرير الأبواب وخزير المياه في حنفيات البيوت .. ومشاكل الأهل والجيران .. وسجائر وأفكار وأوامر أب العيال .. أريد حباً .. واستقراراً .. أريد مسؤوليات متعددة .. أقوم بها كلها في نفس الوقت .. وإن لم أستطع فأني أرتبها .. الأهم .. فالهم .. وسأنجزها كلها .. ولو بعد سنين .. أربي أولادي وأرصف أحجار بيتي وأناقش وأصقل المفاهيم في جمجمة زوجي .. أتعلّم وأعلم .. أقرأ .. وأكتب .. أخطئ لقفزاتي العلمية والاجتماعية .. ومهما غبت عن الساحة الأدبية .. فانا معها .. سأعود إليها يوماً قوية .. مكتنزة .. ملأني التجارب حكمة وإصراراً .. وحققتني بأنه لا بد من الفعل .. والفعل عند المثقفة الأدبية هو أن تكتب ما ينفع الناس ويدفعهم إلى الأمام .. أنا لا أعترف بالبكاء والضعف .. لا أعطي لذاتي أكثر مما تستحق من الشفقة والفهم .. أنا من أجل الجميع .. لا من أجل نفسي .. لن يغلبني مهما كان .. طرف أو

شخص أو حيلة .. أنا شاخصة يوما إلى الأمام .. متناسية كل العثرات .. أريد الأقوى .. أريد الأحسن ... أريد الأبقى .. وسأكتب .. وأبقى .

(2) أنانية مفضوحة

سأحكي لكم حكايتي مع الزمان ومع ذلك الرجل ، يقول إنه تزوجني لتعدد كفائاتي .. وأنه أحبني لأنه وجد فيّ ما لم يجده في غيره .. ومع الأيام اكتشفت أن الحب لم يكن سوى أنانية مفضوحة .. حب كبير لذاته وصفاته .. أراد أن يكمله بي .. أن يتخذني جارية .. أعبدته وأخدمه .. أحقق ذاته .. حتى لو ضحيت بكل ما بونه ... مما يستحق العبادة وتحقيق الذات ماذا أقول لكم مما قاسيت .. كان يمزق كتبي عندما أفضل قراءاتها على الإستماع لثرثرته .. كان يكسر أ قلامي عندما أستعملها لكتابة أفكاره لا لنسخ محاولاته التي تحتاج لأستاذ مدارس ليصححها .. كان يسرق دفاتر أشعاري وينسقط كل أخباري .. خارج البيت .. في الجامعة أو في المدرسة .. ليهول منها حوادث غريبة يتخذها سببا لغيرته وجنونه ، فيظل يشتمني .. ويظل يضربني ويؤذيني بالقول والفعل والحيث .. إلى أن أضيع .. وتضيع أفكاره .. ويمرض جسدي .. وتسود أسناني من دخان سجائره ، وتعتل روحي ، كان يقفل علي الأبواب بالمفاتيح ويعكر مزاجي .. وأنا في أشد الحاجة إلى الخروج من البيت لحضور اجتماع أكيد .. مكلفة فيه بمهمة .. ويا خجلي .. ويا حيرتي .. ماذا أقول للناس الذين يثقون فيّ ويكلفونني ويريدون أن تتقدم المرأة .. وأن تعمل شيئا مفيدا لكل خارج بيتها .. ماذا أفعل .. والصغار متشبثين بأقدامي .. يصرخون من الفزع : أمّاه لا تتركيها لوحش الزمان يفترسنا .. للغير يهملنا ويضربنا أمّاه .. إبقى معنا .. وإن ذهبت إلى مكان ما فعودي بعده إلينا .. أو إليه خذينا .. المهم أن نكون معك أمّاه .. يا أمّاه .

كنت صغيرة السن .. قليلة التجارب .. معدومة الحيلة .. فتاة ولود .. وكان التعب بالليل والنهار يجلدني بسياطه .. شغل في الشارع لتأمين العيش .. وشغل البيت لتأمين القوت والفرش .. وشغل الفكر واليراع للتنفيس عن النفس ... وللروح بما عجز عنه اللسان ولم يسمح بالإفصاح عنه المكان .. لم تسعه الجدران .. ووسعها

الأثير .. والورق .. وقلوب الناس ، ولتنزل أخشاب السقف بعد ذلك .. ولتتكسر القدر .. من فوق نيران المطايخ .. وليقص المقص الثوب واللسان .. فلا شيء يهم ... بعد أن كتبنا قصة .. أو قصيدة .. ويعتناها للنشر .

ولم تكن نعرف أن لصبرنا حدودا .. ومع ذلك نبتت لنا أجنحة .. وطرنا .. فوجدنا الفضاء رحبا .. والحياة فيها الكثير من الجمال .. والقلم ما زال سلاحنا .. نحارب به كل الأعداء .. وسنكتب ... ونكتب ... ونكتب .

(3) لا فرق بين رجل وامرأة :

لم أشعر في يوم من أيام حياتي بأن هناك فرقا بيني وبين الرجل .. هو يلعب الكرة والورق ويدخن .. ويخرج صباحا ويعود مساء .. وأنا أفعل ذلك .. هو يضع القلم على أذنه ويفكر .. ثم يكتب ويقرر مصيره ومصير الآخرين .. وأنا أفعل ذلك ..

مع الرجل أدخل مدارس الحياة فنتجج مرة ونفشل أخرى .. هو لا يبكي كثيرا ولا يفرح كثيرا .. إن دخلت أو خرجت .. هذه المرأة .. أو تلك من حياته .. وأنا أفعل ذلك . هو يغسل ملابسه وصحونه ويلبّح حذاءه وأنا أفعل ذلك .. هو يعمل ويناضل ويرفع صوته مطالبا بحقوقه .. ويتقدير مجهوده ويريد أوسمة شرف يعلقها على صدره وشهادته تقدير يؤطرها على جدران بيته وأنا معه في ذلك .. هو يتزوج مرة ويطلق .. ثم يتزوج مرة أخرى ولا يطلق .. وأنا كذلك .. هو يختلف قليلا أو كثيرا مع هذا وهذه .. ولكنه يصل ولا يقطع .. وأنا كذلك .. هو يحب الحياة ويعيشها بالطول والعرض ولا يئس .. وأنا كذلك .. وكلما سمعت أن للمرأة قضية .. أضفت إليها حالا .. وإن للرجل قضايا .. لذلك لا أعترف بفرق بين أدب نسائي وأدب رجالي .. فكمن الرجال كتبوا شعرا وقصة ورواية .. وعبروا عن أدق وأحلى وأعرق تفاصيل تعيشها المرأة وتتعنى أن تكتبها .. وإن فقد حان الوقت لتعبر المرأة عن مشاعر الرجل وتدافع عن حقوقه .. وتنتصر لقضاياها .. وتعمل على إصلاح أخطائه .. ونقد ما يستحق النقد من أعماله .. وأن

تكتب كتابة إنسانية فيها الكثير من الرجولة .. والقوة .. عن العاملين بالفكر والساعد .. عن المسحوقين في المدن والأرياف .. عن المسجونين حقاً وظلماً .. عن الرجال يغادرون بيوتهم ويتخلون عن مسؤولياتهم بعد أن كانوا السبب في وجود عدد من الأولاد والبنات في حاجة إلى الوصول بأجسادهم وأرواحهم وعقولهم إلى برّ الأمان ، أنا أعتزف بتنظيمات نسائية تضم كل أصناف النساء .. ولا بتنظيمات رجالية تضم كل أصناف الرجال ، التنظيمات يجب أن تكون رجالية نسائية في نفس الوقت .. اتحاد للفلاحين والفلاحات .. اتحاد رجالي نسائي للمشاكل الإجتماعية المشتركة بين الرجال والنساء .. اتحاد صناعيين وصناعيات .. اتحاد مثقفين ومثقفات .. اتحاد رياضيين ورياضيات .. وأن يعملوا بقوة وصراحة من أجل الحلول .. والفرح .. والقفز .. والسير إلى الأمام .

4) هذه الكاتبة .. هي أمل حياتي

والدها مدرس علوم دينية بالجامع المعمور .. يلبس العمامة والقفطان .. ويعلم الناس كلام الله والرسول .. ويعلأ بيته بالكتب الدينية والأدبية .. يحب الشعر ويقول .. ويريد أن يتغزل بالחסنان .. فيكتب ذلك في دفتر يخفيه جيداً .. لأنه يحسب لسمعته ووقاره ألف حساب وحساب ... إلا أنه في يوم من الأيام رأى عروساً .. فأنقذ الحسن والجمال .. تتيه دلالة وعزا .. تضرب المواعيد لأحلى اللقاءات .. وتسقي صاحبها عسلاً مصفى .. من ذاتها وصفاتها .. عندها .. لم يتمالك شيخنا من أن يرمي عمامته جانباً .. ويحلّ أززار قميصه .. ويصبح شعراً غنائياً خالصاً من أعماق قلبه ووجدانه .. فكأس الحب دار بينه وبين حبيبته .. وقد شربها حتى الثمالة وسكر الإثنان .. وكان الشعر .. والحنن .. والغناء .. والنجاح .. والشهرة . وقامت الزويزة في أنحاء الجامع .. وصمت بعدها شاعرنا .. لقد كانت العروس عروسه .. والعرس عرسه ، .. وليلة الفرح ليلته ... هو بالذات شيخنا الوقور المكرّم .. وأنتج الحب والشعر أديبة صغيرة .. ظلت تكبر في حديقة الأمان والود .. والرعاية الفائقة .. لم تسأل يوماً .. عما تقرأ أو تكتب أو تنشر .. أو إلى أين تذهب .. ومن أين تجيء .. فالتربية عالية .. والعين ساهرة .. والأدب جمٌ وثير .. والنعموة

الظاهرة والخفية .. هي أثر من آثار الرفاهية .. والأدبية الصغيرة .. التي ظلت تكبر .. لم تتسائل في يوم ما .. أين الرجل المناسب .. وكيف الوصول إليه .. فالرجال المناسبون في نظر الغير يتقدمون .. ولكن الرجل المناسب في نظرها لم يصل بعد .. لهذا لم تقل نعم .. ولم تفتح يدها وتخرج منها اصبعها ليلبس خاتما .. إلا بعد وقت طويل .. جاء من يخطب أدبها قبل يدها .. ويقول : أحبيتها دون أن أراها .. فيكفي أنها تكتب مثل هذه القصص .. لتكون أمل حياتي .. فالقصة معاناة .. قبل أن تكون سطورا على الورق .. والمعاناة فهم .. والفهم فعل .. والفعل رسالة مقدسة ..

وهكذا أوصلها طريقها الأمن أولا .. إلى طريقها الأمن ثانيا .

وتواصل صاحبتنا مع صاحبنا الحياة الهنيئة التي زاساسها الفهم والتشارك .. ولم تشتعل النار لا في سمائها ولا في أرضها .. بل ما زالت أمطار الحب والحنان والفهم تمطرها .. وتسقي زرعها .. وتغسل الأدران من حولها .. وهي تعيش .. وتتفاعل وتحمل المسؤوليات .. وتكتب .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sak> (5) الأب بحر والحبیب فن

البحر أبي وحببي .. وإليه أنتسب .. السماء عندما تلتقي بالبحر ويتبادلان الأسرار والأفكار .. ألتقي أنا به فنرسم معا .. هو بالريشة .. وأنا بالقلم .. قبل أن نفكر في تأسيس بيت صغير .. نربي فيه الطيور ونعلمها .. لتزقزق .. وتملا الدنيا أناشيد .. فكرنا في تأسيس وترتيب بيت كبير هو .. العالم بما رحب .. ومن أجل ذلك نجحنا لما اجتمعنا في بيت صغير .

البحر حبيبنا .. معلّمنا وسيدنا .. على شاطئه سكنا .. ونسكن .. ومن خيراته أكلنا .. وتربينا .. ومع أمواجه نتصارع دائما .. ونتنصر .. نتعلم منه الكثير .. كيف نكافح ونصبر .. حتى نحقق ما نريد .. كيف نعمل الفكر واليد لننجح في حياتنا .. كيف نريح أعصابنا ونجعل الصعب سهلا .. البحر قوَى فينا الإحساس بالجمال .. فتجمّلنا .. فصار الوجود جميلا من حولنا .. العصفير التي نربيها ترعرعت على بساط من اليسر في الطبع .. والعون عند الحاجة .. والفهم عند

اللزوم .. والأخذ والرد في كل أمر .. إلى غاية الرضا من الجميع .. وإلى الجميع . وهكذا صار علي أن أفرح بقانون نصف الوقت ونصف الأجر .. فنصف الوقت لتعليم الصبيان .. كيف يفرحون وهم يكتبون ويقرأون .. ونصف الأجر للكتب ولعب الأطفال ومرحهم في الأراجيح .. والتأرجح معهم .. ولوقود السيارة عندما أحتاج إلى استعمالها لزيارة مدينة المدائن .. من أجل فنّ الحكاية .. أمّ الفنون جميعها وألصقتها هوى بقلوب الناس .. وخاصة العذارى والأطفال والأمهات .. وإن أنسى لا أنسى أن أقدم لكم ثمرة قلبي وأجمل قصة كتبتها في «حياتي بنتي» «نهى» الجالسة جنبي .. والتي قرأت كل كتابي وفهمت معاني كل الرسوم واللوحات التي علقها أبوها على الجدران .. والتي جاءت معي اليوم لتسمع وتسال .. اسمعوها وستعرفون من أنا ومن زيوها .. وما الذي يفعله الحب الحقيقي أن تبادل إثنان من أهل الفن والرياء وإلى الجميع أهدي تجاربي الناجحة في الحياة وأهدي كل كتابي .. ومن أجل الجميع سأواصل الكتابة وسواصل أبو نهى الرسم .

وعندما تكلمت «نهى» ابتسم الجميع إعجابا وشهد الذي سرق القمر يوما ما .. بانها أحلى قصة كتبها امرأة .. ما زال بيتها شامخا عامرا قائما على ضفاف البحر .. وما زالت تحمل إسمه فوق كتبها .. وتصل منها الرسائل نون أن تمر على إدارة البريد .

(6) من أجلك يا ولدي

تكررت للأرصفة تحملني إلى حيث أقول وأسمع الكثير من الكلام الجميل والمفيد .. من أجلك يا ولدي .. هجرت الأضواء وقلت لها : لا تجهري عيوني .. فرفيقي وصغيري بحاجة إلى جمالها يضاف إلى النور في عيونه .. نضوء به .. وتندفأ .

يا ولدي .. من أجل أكل لذيذ .. أتشنج .. ولا أريد أن أصنعه في مطبخ بيتي .. بعدت المسافة بيني وبين أناس همومهم ليست مثل هموم الناس .. وددت أن أفارقهم ولا أفارقهم .. يا ولدي من أجل أن أخوض التجربة مثل الأخريات .. وأحاول أن أنجح مثل بعضهن .. وأحافظ على الصور والذكريات .. وأن أفرح

بوسام عظيم .. مكتوب عليه اليوم << أم >> وغدا << عظيمة >> سأنشئك عظيما ..
فعندما تكبر يا حبيبي .. سترى كيف ينظم كل من أبيك وأمك وقته .. ليعرف متى
يأكل ومتى ينام ومتى يجلس مع صاحبه ومتى يأخذ دوره في المطبخ .. ومتى
يلعب معك .. ومتى يكتب نهارا أو ليلا .. المهم أن يكتب ولا ينقطع .. هل سمعت
جيذا يا ولدي .. أكتب دائما .. ولا تنقطع .. ذلك هو المهم .

7) إذا قال الشيخ فصدقوه

منذ بداية السبعينات مع ظهور عدد من الكتب النسائية في تونس وأنا أقول إنه
قد حان الوقت لتعبر المرأة العربية بكل قوة وانتشار عن مشاكلها بنفسها وتسهم
في بناء المجتمع وتنويره بقلمها ، وأن تتحمل جزءا من مشاكل التخلف والتقدم ،
وتناضل بسيف حاد صارم إسمه القلم النسائي ، وتكفي الرجل عبء الدفاع عن
حقوق المرأة ولفت النظر إلى قضاياها ومشاعرها في الحياة .. أمومة .. وحبا ..
سموا .. وانحدارا .. عملا وكسلا .. فشلا .. ونجاحا . لقد عملنا بإخلاص على
تشجيع القلم النسائي لإيماننا بأهميته وضرورته في مسيرة البلاد . ولقد احتضن
نادينا كل الكاتبات التونسيات اللواتي يكتبن باللغة العربية فيترددن عليه قبل
الزواج وينتجن بحماس ، وينشرن ، ويصبح لهن إسم مشرف في الساحة الأدبية
.. ومن الممكن القول أن بعض الأقلام النسائية في تونس في ميدان القصة ذات
وقع أكثر من طيب .. غوصا في أعماق النفس البشرية وتجذرا في واقع المجتمع
.. الزليم حيناً .. والتقليدي حيناً آخر .. والمتطور أيضا .. والمثالي حالا أو
مستقبلا في أحيان كثيرة .

ولكن الملاحظ والمؤسف أن زواج الأدبية يحجبها عن الساحة الأدبية .. فلم نعد
نراها في النوادي والمحافل .. وشينا فشيئا تحتجب هي وقلمها .. وعند السؤال
عنهن نجد الأجوبة محصورة في أن الجمع بين الوظائف مرهق ومعطل ولكن
الأهم والعائق الأكبر هو الزوج اللامتعفم واللامتعاون في حياة الأدبية التونسية ،
والذي كثيرا ما يمثل عائقا ذا أهمية ، وقد استمعنا إليهن يصرخن ويرفعن
الأصوات شاكيات من أزواج يغيرون كثيرا من زوجات يتقن فن القص بالقلم

إضافة إلى القصّ بالقصّ والسكين ، ويسعون إلى الإستحواذ على ملكات المرأة كلها لتكون زوجة صالحة وامرأة عادية جدا .. تطبخ وتنجب .. وتسلي .. وتتفخ في ميزانية البيت وجيب الزوج .. أما أن تجد التشجيع والمعاونة على التفرغ بعض الوقت لفكرها وفنّها وقصصها فإن ذلك يصعب جداً في الحياة الزوجية مع رجل تقليدي حتى ولو كان ابن عشرين سنة .

ثم إنني لاحظت أن غياب الأدبية وإن طال فإنه تتخلله انتفاضات حلوة من حين إلى آخر بكتابة طريفة صادرة من العمق كأن صاحبتها تعاني تعذيب غياهب السجون .. فهي بلا شك تتمزق بين سعادة الحياة الزوجية بما فيها من استقرار وأمومة وهناء وبين سعادة الإبداع والفكر والأهمية والشهرة .. شهرة النساء التي يخاف منها الرجال حتى لا يقال عن الواحد منهم .. هذا زوج الست .. وفي الحقيقة هي الغيرة العمياء ولا شيء غير الغيرة . وأنا هنا من منطلق الغيرة أيضا على الأدب وأهله ... وعلى بناتي الأدبيات وأنا أبوهن الروحي بدون منازع أقولها بكل قوة: ليعلم الجميع والمثقفون بالذات أن الزواج ليس عقد ملكية وتسخير وأسر وعبودية .. بل هو شركة تعاون ، ومصنع التفاهم .. والمودة والرضا .. ولا يجب أبدا في عصر نهضتنا الحاضرة أن يكون عائقا لأي طرف عن طلب العلم أو العمل الإجتماعي النافع .. أو الفن النظيف .. أو الأدب الرفيع .. بجد وقوة أقولها: لقد أن الأوان ليراجع كل من الرجل والمرأة في تونس علاقتهما ببعضهما وخاصة المثقفين والمثقفات لكي يكون الواحد منهما سببا في سعادة الآخر ودفعه إلى الأمام لا سببا في شقائه وتعاسته وعرقلته وتكبيله وثورته وتمرده وضياعه وضياح من تبعه أقولها بصديق وحق وحماس: حان الوقت لانتصار المرأة في جميع الميادين .. والرجوع إلى الوراء أصبح مستحيلا .

الضيوف أولا وأخيرا

ماذا نرى وماذا نسمع ؟! هو ما كنا نريد .. أن يفتح إخواننا لنا القلوب والضمائر .. وأن نتصارح ونتكاشف ونضع الإصبع على الداء .. ما الذي يكبل المرأة .. ما الذي يعوق خطاها .. ما الذي حير الفكر وأخر المسيرة .. إنها الأغلاط

التأهنة .. الفوق والتحت ، أحسنأصنعا بالإفضاء بعضنا إلى بعض .. لا خير في صدر مكتوم ينفجر يوما بارودا حارقا .. الخير في الرعد والبرق والمطر .. لا تندموا على البوح .. لا تندموا على البكاء فهو نافع .. يزيح الغوم .. يفرج الكرب ابكوا يا رجال .. اضعفوا يا رجال .. بوحوا للنساء .. بحن للرجال يا نساء .. اضعفوا معا .. واقفوا معا .. الدموع تنشط القلوب .. تغسلها فتصفو وتعرف كيف تحب من جديد وتتطهر النفوس ... فتعرف كيف تنهض .. العيون يصفىها الدمع فتبصر أحسن .. لا بد من الكبو حتى نتعلم النهوض وقد كبونا طويلا وأن لنا أن ننهض .. امرأة ورجل .. لن يخجل أحدهما من عرض تجربته على الناس مهما كانت مرة .. فننوق المرء وهو الذي يجعلنا نعرض عنه لاختيار الأهل .. لا خجل ولا عوائق بعد اليوم .. فسياسة بلادنا تهمنا جميعا فهي حق وواجب .. وتجارينا الشخصية معروضة للعلم يستنتج منها ويقتن .. والدین صالح لدنيانا وأخراك .. فكلنا نأخذ منه برفق ليس واحد منا أحسن من الآخر .. فالرب للجميع والدين للجميع .. وكل ما أنتج الفكر البشري من مذاهب نأخذ منها الصالح المناسب للزمان والمكان .. لا نخاف ولا نبالغ .. لا نؤغل ولا نتطرف المهم أن يسير المركب .. إننا نعلن : أن الوقت قد حان لصنع امرأة عربية جديدة تعرف جيدا ما لها وما عليها .. تؤسس بيتا تسوده العدالة .. لا فرق فيه بين ذكر وأنثى ... لا يضرب فيه الرجل المرأة ولا يستغلها .. العلاقة بينهما واضحة .. والإختيار بصير .. والغاية مضمونة والسرور مشترك .. البيت يجب أن تسوده العدالة حتى لا يتهدم على من فيه .. لا فرق بين ذكر وأنثى .. الكل في الدرس سواء .. في الفرص سواء .. ترتيب البيت وقضاء حاجاته مهمة الجميع .. النشاط الاجتماعي للكل .. الترفيه للكل .. المرأة الجارية يجب أن تُعَدَم .. المرأة المسخرة والمستغلة والبلهاء والمستكينة والمكسورة الجناح .. لا مجال لوجودها مستقبلا .. إن أردنا التحليق واللاحاق بمن سبقوها .

ولم يكونوا سابقينا .. المرأة البغي يجب أن تعدم .. تعدم نفسها بنفسها .. تلك التي تقدم إنسانيتها ذلا سائغا .. تمضغ وتبصق .. لا ثم لا ... غسل الدماغ من أفكار التخلف والتعاس والبونية .. غسل الدماغ من الخوف والجهل والمرض ..

سريعا وجميعا .. واجبنا كلنا .. الأناقة والتجمل يجب أن يكونا للفكر أولا .. وإن لم يبق وقت .. فالبساطة جمال .. وخير لي أن يقولوا ما أجمل ما تقول وما تفعل وما تفكر وما تكتب .. من أن يقولوا : ما أجمل ثوبها وتسريحة شعرها وفردتي حذائها .. فإذا كان هناك اختيار فأننا أختار الأبقى والأنفع .. أختار أن أكون سيدة نفسي .. إلى أن أجد شريكا أبادل معه السيادة .. لنسود الحياة .. ويسودنا العمل النافع والوقت الرائق .. حان الوقت لصنع رجل عربي جديد .. يغسل وجوه أطفاله ويحضر لهم الحليب ويسهر على قياس حرارة أجسامهم ليلا عندما تنام زوجته مكودة .. رجل يعطي النموذج الجميل لأسرة ناجحة جميلة .. متعاونة ... مشجعة بعضها لبعض .. لن تستهلك فيها المرأة في سبيل راحة الرجل وخدمته وتقدمه .. الكل يعين الكل .. الكل يدفع الكل إلى الأمام . حان الوقت للنهوض بالمجتمع العربي .. بنهوض الأسرة .. بنهوض المرأة بمثال جديد للرجل .. فليقع السمع من فضلكم .. وليقع الوعي من فضلكم .. سيداتي لستن وحدكن المدمرات .. تدمرت قبلكم مرتين .. ولكنني وقفت في الثالثة .. أنا الآن والشريك معي .. نتبادل الودود أمامكم ... والقليل وراءكم فرحين بما أوتينا من توفيق وفهم وعمل ونتائج نهديكم تجربتنا .. نهديكم ودنا الغامر .. نهديكم فرحنا المتواصل .. نهديكم نموذجا رائعا لأسرة جديدة سعيدة .. فكونوا مث لنا وكونوا معنا ...

وهاكم عنواني .. وسنلتقي .

لعل اصعب المعادلات التي تواجه رواد المفكرين العرب اليوم هي الوكوف عند موقع معين يكسر قيود الثنائية الضدية، اما التبعية او الانعزال ولا سبيل في رأينا للخروج من حالة التردد الذهني الا بالغاء شعب النار الفكري وبتجاوز الوضع الصرامي بين الانا والاخر.

د. عبد السلام المسمي

دم على الرّصيف

بقلم : مختار المومني

الإهداء : إلى زملائي في حضيرة العمل الذين عاشوا معي أحداث هذه القصّة .

سأله

- ما اسمك ؟

أجاب

- أحمد

وانطلق بينهما الحوار المستحيل .

* أحمد

- أبعد عشر سنوات من الدموع والعرق يسألني عن اسمي ؟ أبعد عشر سنوات تحوّل فيها ملايين اللبّات على يديّ إلى قصور شامخة تزهر بأصحابها يسألني عن اسمي ؟ أترأه يستبطني إلى هذا الحد ؟
بحركة عصبية مسح الحبات المألحة براحة يده ... نظر صاحب الصلعة في عينيه .. هرب بعينيّه إلى السماء .

كانت السماء غائمة .. وكانت زوبعة من الغبار تلف وتور .. أحسُّ أنّه كتلة من التعب ، والعرق ، والألم .. انتبه إلى الصلعة الأمّعة ...
كان ينظر في أوراق كثيرة أمامه .. تعثرت نظراته .
عاد أحمد إلى نفسه يستعيد رسالة زوجته الأخيرة .

- أرجوك يا أحمد .. أجرة كراء المنزل غير خالصة .. الملاك بعث إليّ بتتبيه عن طريق البريد إمّا الدفع وإمّا إخلاء المنزل .. أمس زارني عدل منفضّ وهددني وأطفالي بالطرد إن لم نسدّد له أجرة الكراء بعد ثلاثة أيّام .. صابر إبنا الصغير أخذته إلى المستوصف وبعد أن فحصه الطبيب قال إنّ مصاب بسوء التغذية أما

أيوب ابننا الأكبر فالمعلم هدده بمنعه من دخول القسم إن لم يدفع أجرة الساعات الإضافية .

يتوالد الضجيج في رأسه .. يحاول الانفلات من دوائر الحزن .. يتسع الحزن ووجوه المستقلين الضعفاء تتسلخ عن الأرض وعن صفحات الجرائد .. انتبه إلى الصلعة الأمعة .. كان ينظر في أوراق كثيرة أمامه .. تعثرت نظراته . الشمس قنبلة تتفرقع كل صباح في فؤوس لا تعرف الإعياء .. فكر في أن يدخن سيجارة لكنه تذكر أن آخر سيجارة أشعلها منذ قليل .. انقطع صوت المعاول .. انتحلت الأسماء

* الصلعة اللامعة

- كيف أقنعة باستغنائني عنه ؟ هل أقول له انتهت الأشغال ؟ ولكن الأشغال ما زالت في بدايتها ، هل أقول له إنك تنهاون في عملك ولكنه مثال العامل المجد .. لا يتخلف عن عمله ولا يتأخر .. عمل في كل المواقع وانتقل معي إلى مختلف بقاع البلد . ولكن أي حجة لي في إقالته من عمله ؟ إنني أريد الخلس من كل عامل قديم حتى لا يطالبني بالتوسيم

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- اسمع يا أحمد

...

- أنت هزمت يا أحمد .. أنت لم تعد تصلح للعمل أحسّ بألم يخلخل صدره .. تزويجة في صدره رغبة للبكاء ، خنق رغبته .. أحسّ أن عالما بأسره يتهدم في داخله .

2

قال له المحامي

- لا أريد أن أخدعك ، فالقضية قانونيا ليست في صالحك قاطعة في انفعال

- ولكنّها عشر سنوات بصرها ويردها .. أعطيت منها للشركة نصف عمري ، وبعضا من جسدي .. فقدت فيها إحدى عيني واحد أصابعي .. عشر سنوات من الجهد ، والعرق ثم يلفظني كالنواة .. يسحقني كحشرة .

- عندما استفسرت في شأنك ربّ العمل قال إنك أصبحت عبئاً على الشركة ..
فأنت أصبحت تأخذ أكثر مما تعطي .

- ولكنّه لم يقل لي ذلك منذ عشر سنوات بل لم يقل لي إنك تأخذ أقلّ مما تعطي

- ولكنه لم يقل لي ذلك منذ عشر سنوات بل لم يقل لي إنك تأخذ أقلّ مما تعطي

- لا تقلق يا سيد أحمد سأعمل المستحيل من أجلك

فكر بينه وبين نفسه

- إنّ المحامي لا يملك غير حفنة من الوعود .

جرر رجله خارج مكتب المحامي .. لفتحه ريح صحراوية محرقة .. حدث نفسه

- « اللّلي يجي م الغرب ما يفرح القلب »

حاصرته ملصقات الاعلانات .. اعلانات المشروبات الغازية والمأكولات الشهية

.. تذكر أنّه لم يضع شيئاً في بطنه منذ الأمس .

ARCHIVE 3

عندما دعي لمناقشة قضيته سألّه نائب الحق العام :

- هل تحب « عرفك » يا أحمد .

صاح محاميه

- أعترض على هذا السؤال

وأجاب أحمد متسائلاً .

- وما دخل السؤال في القضية ؟

- لا يهمّ .. أعلمك يا أحمد أنّه لا يوجد أي فصل قانوني ينص على ترسيم عمال

حضائر البناء

- ولكنها عشر سنوات من الدموع ، والعرق

- القانون واضح وصريح .. عامل البناء عامل وقتي .

ولكنّي أصبحت جزءاً من الشركة . فقدت فيها إحدى أعين وأحد أصابعي

- إسمع يا أحمد .. القانون لا يخدم مصلحتك

- أي قانون هذا الذي يلتهم حق المستضعفين

- أرجوك . احترم القانون

- قانون الأقوياء لا يتلاع الضعفاء .

- وحيث أن الأركان القانونية غير متوفرة في هذه القضية وحيث .. حيث ..

حكمنا بعدم سماع الدعوى وتحميل المصاريف القانونية على المدعي .

أحس أن نصلا حادا يغور في صدره .. تحامل على نفسه .. جرر رجليه خارج

قاعة المحكمة .. قذفه الظل إلى الشمس .. الشوارع تخلو .. المذياع يخرس بعد

تعب .. القطط تشهد فصولا من الصمت ... البدلات الأنيقة تطارده .. حاول أن

يتجاوز ألمه .. قذفه الطوار إلى الطريق .. حاصرته الأحزان .. كانت سيارة

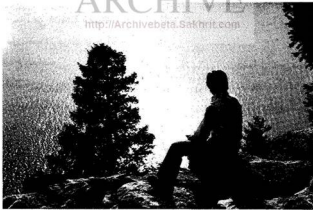
مجنونة تعبر الشارع .. حاول أن يتفادها .. وعندما بوت سيارة الشرطي كانت

الرأس تتدحرج غير بعيد عن الجثة التي عدت كتلة من العجين والدماء .



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrat.com>



الأقلام الواحدة

إشراف الأستاذ : عبد المجيد زين العابدين

إنّ في الشباب قدرات ومواهب كامنة متأصلة لا ينقصها إلا كلمة تشجيع أو عبارات تنويه وشكر أو إقرار بوجودها من قبل المربين من أهل الذكر . إلا أنّ البعض من هؤلاء الشباب قد يغتر بما يتلقاه من هذه النصائح أو هذه التشجيعات ويصبح يعتقد في أكثر ممّا له منها أي من هذه القدرات والإمكانات الأدبية أو الفكرية أو الوجدانية ، وهذا أخشى ما نخشاه عليهم ، ذلك أنّنا نعتقد جازم الإعتقاد أنّ نجاحهم يرتكز بالأساس على السير بتؤدة أو ثبات إلى نهاية نيل مناهم وتنصيب تجاربهم المختلفة في هذا الميدان أو ذلك .

إنّ هذه الغاية ليست باليسيرة الميسرة وإن بدا لصاحبها قريبها منه ، فالمرحلة واجبة متوجبة والرصانة من أهم صفات نجاح الأدباء حتى يبلغوا مرحلتهم الأخيرة بصورة ناجعة وموفقة .

كلّ الرجاء ألا يتسرّع شباب اليوم إلى الاعتقاد في وصولهم إلى أهدافهم بصورة نهائية حتى لا يقطعوا على أنفسهم لذّة البحث والتطوّر بصورة مطّردة .
* إلى الشاعر الشاب عادل الطرابلسي أصيل بوعرادة :

إنّ حديثي الآن عنك يا عادل هو حديثي عن أيّ شاعر تونسيّ شاب ارتقى في فضاء الشعر إلى مرحلة التمكن بنسبية كبيرة وواضحة ويقدر ما أنا منشرح لرقيك هذا إلى هذه المرحلة الهامة من مسيرتك الشعرية لا أخفي عليك أنّني أشعر بشيء من الخوف والاشفاق عليك من احتمال تسرّب شيطان الغرور إلى نفسك الشابة الطموحة وركونك بالتالي إلى السكينة والدعة والقناعة بما توصلت إليه .

ديوانك الذي بشرتني بقرب ظهوره استبشرت به واقتخرت ولكنّها البشرية الحقيقية التي تزفّها إليّ تتمثل في إصرار على اختيار الكلمة الشعرية الناصعة وجهادك في التأكّد من نقاوتها .

أرجو لك تقدماً مطرداً وتوفقاً إلى الإضافة والتجديد في عالم الشعر في زمان
مضطرب صاخب كزماننا ، أنشر لك هذه المرة قصيدك المهور بعنوان : << كلمات
على نخب التّحدي >> بعد شيء من تصويب وتحوير .

كَلِمَاتُ عَلَى نَخْبِ التَّحْدِي

حَبِيبَ الْعُمُرِ لَا تَحْزَنْ وَزِدْ بِالْحُبِّ إِيْمَانَا
وَكُنْ بِاللَّهِ مُعْتَصِمًا وَدَاقِبْ مِنْهُ إِحْسَانَا
فَكُنِ اللَّهُ قَدْ أَنْشَأَ لِعَدَلِ الْحُكْمِ مِيزَانَا
وَكُنِ الدَّرَبُ إِنْ طَالَ وَزَادَ الْقَوْمُ طُفْيَانَا
سَيَمْضِي الْكُلُّ فِي أَمْسٍ وَيَحْبُو الْفَجْرُ نَشْوَانَا

* * * *

حَبِيبِي أَهْ لَوْ تَذَرِي بِيَانُ الْحُبِّ إِنْجِيلُ
وَقَلْبِي رَامَهُ دِينِيَا وَمَا لِلدِّينِ تَبْدِيلُ
فَأُخْضِعِي لِلْهِنْدِيِّ نَوِيًا فَكَلَنْ يُثْبِتِيهِ قَضَائِيلُ
وَمَهْمَا الْقَوْمُ أَذَوْنَا فَلَنْ تَقْوَى الْأَبَاطِيلُ
فَحُكْمُ اللَّهِ بِالْعَدَلِ كَذَا قَدْ قَالَ جَبْرِيلُ

* * * *

حَبِيبِي أَنْتَ أَنْوَارِي وَطُوفَانِي وَرُغَصَارِي
وَفِي أَفْدَارِكَ الْجُلَى أَقَامَتُ كُلَّ أَقْدَارِي
فَأَنْتَ الْقَلْبُ فِي صَدْرِي وَمِنْهُ وَخِي أَشْعَارِي
وَحُلْمِي أَنْتَ مَبْتَسِمًا وَفِي عَيْنَيْكَ إِنْجَارِي
فَإِنْ فَرَزْنَا وَذَا أَمَلِي أَوْ الْإِثْنَانِ فِي النَّارِ

* إلى الشاب عادل نصير أصيل مدينة تونس :

مرحباً بك صديقاً جديداً لمجلة الإتحاف في ركنها : << الأقلام الواعدة >> عملاً

المهور بعنوان « الصّاحبة » يدل على مؤهلات واستعدادات لك في الكتابة الشعرية قد تتجلى أكثر فأكثر مستقبلا إذا أنت حرصت على إظهارها .
أهلا بك ثانية أنشر لك نصك هذا : « الصّاحبة » مع الرجاء أن يزداد خطك وضوحا قادمة خاصة في الأسماء التي تذكرها أو تهدي إليها أعمالك هذه ،
فاسم المهدى إليه هذه المرة غير واضح ولهذا لم أدرجه في مستهل قصيدك :

الصّاحبة

هذه مدائني صامتة

تنتظر القادمة

... من زمن النسيان

قد تأتي

... من شجن العبور

قد تأتي يسائلها الفجر والليل

والأقمار فلا تُجيبُ

ولما أتيتِ أيتها الصّاحبة

... من غفوة الوديان

تنهضين كما الغضبُ

طوّقتِ أسوارها بعينيك

.... صارت

يتيمة بين المدائن

... ولما صوّتُ

فتحتِ الأبواب السريّة

وشحمت كل الأبواب

بارتسامات اللقائم المذهلة

وشحتها بأرق الحنين والصبا

وشحتها بألوان شفتيك

....وبالشوق لحفتنا
فتأتين
وأفتح الباب الشرقي
كي تعودني كما كنت
... أميرة البراري والفيافي
... والوهاد البرية
كي ينبت للصخر عشب
والنسيم المخرج بالأسى
قصص
وأفتح الباب الخلفي
كي توقظ أميرة البحر
أسماعها الميتة
كي تسكن أمواج البحر
... ضيف مذاقني
وتحرّسها %



* إلى الشاب شوقي حسن :

عملك النقدي المهور بعنوان : « البرنامج الوطني للنظافة والعناية بالفئة »
تستقيم لغته وينم في مجمله عن قدراتك التعبيرية الفنية ، ولئن لم يرق إلى مرحلة
النقد الحقيقي فإن لك فيه نزعة إلى الانعتاق من الانطباعية .
حاول أن تكون نصوصك قادما مدعومة بشواهد حية من المجتمع .
بإمكانك أن ترسل إلينا مجموعة أخرى من هذا النمط والأعمال الأدبية وإننا
نعدك بنشر ما رقى منها إلى مرتبة النشر .
الرجاء أن تكتب على صفحة واحدة فقط حتى تتيسر عملية الإصلاح وأن تمدنا
ببطاقة تعريفك كاملة .
أنشر لك في هذا المجال نصك وهو بعنوان : « البرنامج الوطني للنظافة للعناية

البرنامج الوطني للتنظافة والعناية * بالفتنة *

« إنَّ الممعن في هذا العنوان يتبادر إلى ذهنه من أوَّل وهلة ذلك البرنامج الوطني للتنظافة والعناية بالبيئة .

والسؤال الذي يطرح نفسه بطريقة " أوتوماتيكية " هو : العلاقة بين هذا وذاك . نحن نعلم جميعا حسب ما يتوارد علينا من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة وحتى المكتوبة تلك العناية الفائقة التي توليها الدولة لحماية المحيط من التلوث ولمحاولة إعطاء صورة جميلة للوسط البيئي الذي نتعامل معه .

هذا التلوث غالبا ما يكون إما فواضل مرمية عشوائيا على الأرصفة وفي الأماكن العمومية ، وإما غازات تنفثها السيارات بشتى أنواعها

ولكنَّ عزيزي القارئ ألم تتفمَّن إلى نوع جديد من التلوث ؟ تلوث راق ليس فيه لا نفايات ولا غازات وإنما حلٌّ ما فيه هو نكروى ، أو تاريخ أو أثر راسخ في ذهنك بمجرد إنتهاك من استعماله ، هو باختصار شديد " شريط الكاسات " الذي عودنا في غالب " الأكشاك " ألا يفاجئنا إلا بأزدل الكلمات وأبشع الألفاظ زيادة على سطحية الأصوات فيها طرح لكميات هائلة من الألفاظ والعبارات التي لا تعبّر في كثير من الحالات إلا عن مشاكل أصحابها وتشير من بعيد إلى خلاف عائلي وإشكال مطروح في صلب العلاقة الزوجية

يذهب ضحية هذه الظاهرة المتزايدة يوميا أولئك الذين يناضلون من أجل إنتاج فني راق على مستوى الكلمة واللحن والآداء .

* إلى الأنسة سامية الماجري أصيلة مدينة الكريب :

أهلا بك صديقة جديدة لمجلَّتكَ " الإتحاف " التي تسلمت مجموعة من أعمالك الأدبية . كل ما أنصحك به هو الإقبال على المطالعة والاستفادة منها لتطعيم معلوماتك وتنصيح مقدرتك على الكتابة .

أنشر لك في هذا الحيز نصك الممهور بعنوان : « وحدي مع النجوم »

وحدي مع النجوم

ظَلَلْتُ أَعْدُ النُّجُومَ
وَأَرْقُبُ الْقَمَرَ
وَكَاثَنِي أَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ
أَوْ لِشَخْصٍ أَنْتَظِرُ
أَسْتَوْقِفُ كُلَّ مَنْ مَرَّ بِي
وَالسُّؤَالُ فِي حَلْقِي يَحْتَضِرُ
تَرَى مَاذَا أَقُولُ وَكَيْفَ أَبْدَأُ ؟
أُرْوِي الْقِصَّةَ مِنْ بَدَايَتِهَا أَمْ أَخْتَصِرُ
هَلْ مِنْ صَدِيقٍ أَوْ رَفِيقٍ
يُوَاسِي الْقَلْبَ الْمُنْكَسِرَ
هَلَتْ جَمِيعُ الْهُمُومِ مَعًا
فَتُتَّهِتُ فِي الدَّرْبِ وَالنُّورِ اسْتَتَرُ
فَأَلِي مَتَى سَأُظِلُّ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ؟
وَأَلِي مَتَى أَرْضَى بِالْقَضَاءِ وَبِالْقَدْرِ ؟
هَلْ كَتَبْتُ عَلَى الشَّجَاءِ ؟
أَمْ الْحَيَاةُ ذَا كُلِّهَا حُفِرَ ؟
كَلَّمَا نَهَضْتُ سَقَطَتْ ثَانِيَةً
فَأَفْقَدُ الْأَمَلَ وَأَرْضُ الْقَدْرِ

* إلى الطالبة حياة المحمدي أصيلة سيدي بوزيد سبالة أولاد عسكر .

مرحباً بك صديقة جديدة لمجلك " الإتحاف " في ركن الأقلام الواعدة ، إن مجموعة أعمالك الأدبية التي تسلمتها الإتحاف منك مؤخراً لها عدة مؤشرات إيجابية تمهد بالتالي إلى مرحلة النشر بعد شيء من التصويب والتعديل . أهلاً بك ثانية أيتها الصديقة حياة . أنشر لك في هذا السياق نصك المهور بعنوان << مملكة الورق >> .

- مملكة الورق -

مهلا سيدي ، لا تنزعج لرؤيتي
ولا تغير المكان وتتظاهر بالانشغال
حتى أرتبك فاختصر السؤال
فأنا يا سيدي لن أطيل السؤال
كل ما أرجوه هو " التحرر "
أجل مجرد التحرر !
لقد كرهت العيش في مملكتك الصغيرة
بعد أن تركت زمامها
فصار العدل فيها من ورق ... !
والمساواة ... من ورق ... !
والحق ... من ورق ... !
وجميع القيم ... أشكالها من ورق ... !
وأنا يا سيدي بداخلي بركان !
يحترق !

* أمني أيها الأصدقاء أن تواصلوا مسيرتكم الأدبية بثبات وإلى اللقاء في
عدد قادم .

" ان ما انتقده بصورة عامة هو تلك الحروب التي يشنها المشغفون العرب
بعضهم ضد البعض في العواصم الأوروبية وهو الوضع نفسه الذي نعاني منه
في داخل البلاد العربية.

رجاء النقاش

حببتي والحب والبرترويكا



بقلم : جمال الشراي

وكم حاولتُ أن أتفادى ذكراكِ وكم خططتُ للنسيانِ وعدم إثارةِ الذاكرةِ الحزينةِ
وكم أكدتُ على ألا أنبشُ في الجرحِ القديمِ وأذكركِ ولكنني ذكرتُكِ في النهايةِ .
في السفرِ اليومِ ذكرتُ ومررتُ من حيثِ مررتُ وتناوأتُ على عجلٍ قهوتي من
حيثِ إحتسيتُ وأكلتُ الغداءَ حيثِ تغديتِ ووقفتُ طويلاً حيثِ وقفتُ أمامَ بانةِ العطرِ
الطويلةِ وتسَلَّلتُ بينِ نفسِ الصفوفِ التي طوانا زحامها معاً ...
اليومِ صديقتي الرائعةِ عذبتني الذكرياتِ وعلقتني من حبلِ الوريدِ في شريطها
الممتدِّ من مَسَدٍ .

للذكرياتِ دأبٌ حلوةٌ رائعةٌ ولكنها اليومِ تأتي مريرةٌ ...
حببتي : المدينةِ اليومِ كانتِ غائمةً وكانتِ مدامها نديةً وسالتُ على أرصفتها
الدموعِ .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سألتني المدينةِ عنكِ ... عن القمرِ الذي كانِ يطالعها معي ... عن الشمسِ التي
تكويها بحرُّها جنبي ... عن النخلةِ المتجولةِ معي وعلى جدارِ كتفِها يستلقى
الجريد ...

سألتني المدينةِ عن وضَّاحِ المحيا الذي كانِ يضيءُ محلاتها وهو معي وسألتني
عنكِ الشوارعِ والمقاهي .

هل تذكرينِ نادلةِ المطعمِ تلكِ المبتسمةِ دائماً .. هي اليومِ قد غابتِ عنها بسمتها
لأنكِ غبتِ عنها ...

حتىِ الكتبِ القديمةِ تدثرتُ فوقِ رفوفِ مكاتبها ولم تقابلني لأنكِ لم تقبلي عليها
معي ...

اليومِ صديقتي ما كانِ في نيَّتي أنْ أعودَ حزيناً من السَّفَرِ فقد مللتُ الحزنَ
وملَّني لكنه اليومِ مالَ عليّ .

هذا هو المطعم الشعبي وهنا قد تناولنا العشاء معاً وأكلنا على شهوتنا المصلي
والسمك المَجْمَرُ وأترعنا بشاي الصين .

هذا المقهى دخلناه معاً وأخذنا طاولةً في ركنه المنحازٍ للعتمة ويومها كم بكتُ
السَّماءُ على الشبَّاك من فَرَحٍ بِنَا حِينَ التَّقِينَا ... المقهى يومها لم يكن شعبياً ...
كان فُخْمًا - مقهى الانتِزَسيْنَالْ مقهى الأمراء يتوسط الشارع الرئيسي الرئاسي
.. أحيانا أمارس الثراء والإمارة حين تكونين معي ...

في قاعة السينما تفرجنا في أحدث ما صُوِّرَ من أفلام عن تفكك الحضارة
البيزنطية ... عمل غريب ومفزع : حَبْ وَبِرُوتْسْرُويْكَأُ أو حَبْ وتجديد على الطريقة
الروسية ...

ذلك العمل شَدُكْ جَدًّا ، أذكر مساء ها ولكنه شَتَّتْ أعصابي وخرجنا للشارع
الممطر لنختصم في طريقنا للرفة المشرفة على بوابة البحر ...

ساعتها تركتُ قاعة العرض مشحونًا بالآف الانفجالات كأنني أعود من القوقاز
بضراوة التَّزَّرِ ... كَانَ الشَّارِعُ شاسعاً وبارداً فصوِّرَ لي الساحة الحمراء ... هنا
إعْتَصَمَ آلاف العمَّالِ والفلاحين وماتوا جوعاً منادين بسقوط القيصر .
الكرملين كانت قصورها منتصبية قُدَّامِي وكانت قوارير الفودكا مهشمة عَرْضُ
الشارع الكبير .

حَبْ وَبِرُوتْسْرُويْكَأُ شريط الأحداث يختزل تاريخ الامبراطورية البيزنطية ويدين كل
فضائحه المستترة بالحب والثورة والتجديد ...

الحب دائماً مطية خطائنا وطريقنا الخفية للغرائز والانفعالات نمتطيه في البداية
بإستكانة تامة ولما نتمكن منه ونخضعه لنا ، نستدير على أعقابنا ونُظْهِرُ الوَجْهَ
الحقيقي لِنُؤَايَاْنَا ونرفع حملناها من قبل ونتنكر لها وننكر أنها صالحة ونقول بأن
المرحلة المتقدمة تقتضي .

في حَبْ وَبِرُوتْسْرُويْكَأُ كانت الحبيبة رائعة بشبابها وكان الحب ساجداً لها ولما
شاخت الصبية وصارت عجوزاً وفقد اللحم لذته وفقدت الشفاه لذتها وفقد الجنس
لذته فقد الحب وقتها لذته وكبا جواده فنزل العشاق من على صهوته وأحالوه على
خنادق النسيان يغطي بالوبر الطويل وجهه وينام إلى الورى .

الامبراطورية العجوز عاشت صَبَاحًا مدللةً بين زنود عُشاقِها وبين رُقَاتِ الذين
 إستشهدوا من أجل عينيها وأخذتْ نصفَ عشاقِ العالم وإقتسمتهم مع غريمِتها
 الصبية البكر واليافعة لكن الأعوام تقدّمت بها لتأخذ من نُصَارَةٍ وجهها وبياض
 جليدها وحمرة مساحةِ خديها فبدأ عشاقها ينفضون من حولها وينصرفون عن
 حضنها إلى حضن غانيةٍ جديدة تكون أحلى حُبٍّ وأشهى وقيل الإنصراف حاولوا
 الأخذ بخاطرها فأجروا عمليةً تجميل على ملامحها ، عملية التجديد لم تنجح
 وخرجت العجوز من غرفة العمليات محطمة الأحلام مشوَّمةً ووقتها لم
 يجد عشاقها بُدًّا من الإنصراف عنها : إنه الحُبُّ والتجديد
 والتخلّي .

بداية التجديد في كل حُبٍّ هي بداية الإنصراف وبداية التخلّي . كلما دخل
 الإصلاح شيئًا حمل له معه نهايته والتاريخ في هذا كلمة وأكثر دليل .

يحكي التاريخ أنه في قديم الزمان كانت هناك أرض مساحتها على شكل الهلال
 وكانت تستضيء بسراج أكثر إضاءة من الهلال وكان يسكنها قوم ينطقون لسانًا
 ويعبدون إلهاً واحداً ويعتقدون في دين واحد ولما استوى حالهم وإكتمل نصابهم ملأوا
 الطيب والأمن والسكينة فبدؤوا يبحثون عن وضعٍ جديد... في دينهم وسلطانهم وفي
 طريقة عيشهم وبدأ كل واحد يبحث حسب هواه فاختلقت الأهواء وتباينت السبلُ
 حتى تصدع أمرهم وتشتت شملهم وهم الآن يكابدون وتسللت الجرذان من ثقب
 البيت الواحد وإنهار السدُّ وغاب الهلال وراء غمامة التجديد ...
 إنه الحُبُّ والتجديد والسفَرُ .

